مشكلة فهم القرآن بين القديم والحديث
الأستاذ الدكتور محمد خليل جيجك


ÖZET

**(Modern ile Gelenek Arasında Kur'an'ı Anlama Problemi)**

Büyük bir ilim ve irfan birikimine sahip olan ve insanlığın en büyük medeniyyetlerinden/uygarlıklarından birisini kuran müslümanlar, son iki asırdan beri fikrî, siyasî, iktisadî ve sosyal boyutları olan derin ve kuşatıcı bir krizle karşı karşıyadırlar. Bu çok boyutlu kriz Cemaleddin Efganî, Muhammed Abduh ve Sör Seyyid Ahmed Han gibi bazı düşünürleri bu krizden kurtulma yol ve imkanlarını aramaya zorladı. Bunlar direk fikrî ıslaha yöneldiler. Bu ıslah hareketinin ilk durağı Kur'an tefsiri oldu. Bunlar, Kur'an tefsirini geçmişin israiliyat gibi mantık dışı fenomenlerinden, gramerin gereksiz bilgi ve görüşlerinden, Kur'an hidayetini direk insanlara ulaştırmada hiçbir etkisi olmayan tefsir ihtilaflarından ve İslam ümmetinin bu günkü siyasal ve sosyal problemlerinin çözümünde fazla katkısı olmayan klasik fikhî ihtilaflardan Kur'an tefsirini arındırmanın gerekliliğini çeşitli vesilelerle dile getirerek akılcı yoruma ağırlık veren ve "Kur'an hidayet"ini merkeze alan yeni bir tefsir hareketini başlattılar.

Bu hareketin en belirgin özelliği, tefsiri, çağdaş insanlar açısından rezervli olan veya çağdaş bir okuma biçimini geliştirme hususunda faydalı olmayan yahut modern insana Kur'an hidayetini taşıma noktasında katkısı olmayan tüm klasik dönemdeki tefsirin yöntem ve yönelimlerinden kurtarmaktır. Bu ameliye çerçevesinde reformist bir akılla Kur'an'ı yeniden tefsir etmeye kalkışan bu yeni akım, egemen Batı kültürünün tezahürleri olan "feminizim", "humanizm", "pozitivizm" ve "laisizim" gibi akımların etkisinden kurtulmayarak ilginç bir gerabete düştü ve Kur'an'ın kendi gerçekliği içinde inkarı mümkün olmayan peygamberlerin mucizelerini, Kur'an kıssalarını ve cihat gibi bazı hukümleri inkar etti veya yeniden yorumladı. Modernist karekterli olan bu tefsir akımı bununla da kalmayarak klasik tefsircileri onunla kıyasiye eleştirdiği "taklitçilik" hastalığından da kurtulmayarak kendisi Batıyı taklit etti ve bunun için "tarihsellik" ve "hermenutik" gibi bazı yöntemleri Kur'an tefsirine uygulama noktasına kadar vardı.

Bu yeni akımın olumluluk ve olumsuzluklarına karşı klasik tefsir yöntemi ise hiçte kendisini yenileme ihtiyacını duymadı. Bütün sorunlardan gözünü kapayarak çağdaş problemlere aldırış etmeden ve Kur'an hidayetini insanlara ulaştırma gayretine de fazla girmeden ve *Lugat ve nahivle ilgili gereksiz ihtilafları aktarma isteği, me'sur kavilleri çokça rivayet etme hevesi ve eskilerden devr alınan "kadim mirası" tekrar etme tutkusu* gibi eski alışkanlıklarından vazgeçmeyerek gözü kapalı bir şekilde yoluna devam etti. Her iki taraftaki olumsuzluklara mukabil Kur'an tefsirinde yeni bir gayretin sarfedilmesi ve çağdaş insan için gerekli olan yeni bir okuma biçiminin geliştirilmesi çağdaş insan için büyük bir zarurettir.


**بسم الله الرحمن الرحيم**


إن أمة الإسلام كان لديها كم كبير من الرصيد الحضاري و بذلك هيمنت على قطاع كبير من التاريخ سياسة و تشريعا و أخلاقا و تفكيرا و تعميرا في الأرض و غيرها من الأسس الحضارية وانجبت تلك الحضارة القرآنية كثيرا من تلك المفاهيم الحيوية اللازمة لرقي المجتمعات البشرية وأسفرت عن فتح كثير من الآفاق المعرفية التي وصلت البشرية بها إلى ما نشاهده اليوم من تلك المسافات الشاسعة في آفاق العلم والمعرفة وما إليها من سائر المقومات الحضارية ولكن لم تلبث الأمة أن أخذت تتقهقر فيما كانت عليه من ذلك التطواف الحضاري و تتقلص يوما فيوما و تكسل في سعيها الحضاري أنا فانا فصارت ذنبا بعد ما كانت رأسا، وعادت تابعة بعد ما كانت متبوعة، وصارت مطيعة بعد ما كانت مطاعة وكلما وقعت واقعة أو نابتها نائبة استفحل أمر تراجعها الحضاري أكثر من ذي قبل إلى أن انتجت في مطالع القرن العشرين عن تمزق كيانها السياسي تماما وتشتت وحدتها إربا إربا فصارت لقيمات صغيرات سهل المساغ على مائدة الضواري بعد ما داست أراضيها الأعداء من كل الجوانب مرات عديدات و لم تكتف بالتمزيق والدوس فحسب بل غزت الأمة غزوا أسوء بأن صالت على أهم و أعز ما لديها ألا و هي الإيمان في الصدور و العقيدة في القلوب؛ فغزت العقول و القلوب و سيطرت بما أصدرت اليها في لفيف مزوق كثيرا من تلك الأفكار الباطلة والمعتقدات الزائفة تحت ستار النظرات الأكاديمية، والبحوث العلمية، والدراسات المعرفية سيطرت بتلك المكور الخبيثة على مكامن الإيمان واستولت على مشاعر الأمة فزحزحت عن القلوب قداسة جل الشعائر الإسلامية ووقعت الأمة من هناك بجسمها العظيم في حيص و بيص من الفتن و المفاسد

العقيدة ما لم تره من قبل و بكلمة موجزة فعل من طرف العدو -في الخارج- وأذنابه العملاء -في الداخل- في سبيل تشويش معتقدات الأمة وحتى تفكيراتها السياسية والتنظيمية أيضا ما لم تصادفها الأمة عبر عمرها الطويل.

كل هؤلاء الخطوب العظام التي أحاطت بالأمة من كل جوانبها حرضت مفكريها وساقت منوريها على إن يجهدوا جهدهم ويصرفوا جميع ما لديهم من طاقة فكرية، علمية، معرفية كي يأتوا لهذا الداء المستعصي من دواء ناجع وحل نافع. فمفكروا الأمة وخبرائها، وعلمائها، وأذكيائها، وجل من لديه طاقة فكرية وجهوا وجهتهم نحو إنقاذ الأمة من هذه المآسي التخلفية التي أصابت الأمة في مقتلها. وهنا نرى أن هؤلاء الساعين لإنقاذ الأمة مما لحقها من عارو شنار ينقسمون فيما بينهم لتشخيص الداء و تقديم الدواء إلى قسمين قسم يتسم في جميع أعماله التفكيرية، والتقويمية، والتحليلية، والتركيبية، و الاستنتاجية بسمة التجدد والعصرانية أي ما يسمونه ب"الحداثة" Modernite و قسم آخر على العكس من ذلك يتسم بسمة القديم وينهج نهج السلف وكلا الفرقين ينهلان من منهل القرآن فيما يتبنونه من الآراء ويقدمونه من الحلول وكل منهما يريد أن يطرح على صعيد الأمة حلا ينقذها مما تعانيه من ذل وهوان وضياع وتمزق ولكن نجد في مقاربات كلا الفريقين إفراطا وتفريطا وغلوا وتقصيرا تنعكس آثارها أولا على تقديم صورة حضارية نابعة من فهم ناجع للقرآن وتقديم هذا الفهم كحل نافع لأبناء الأمة اللاهفة المنتظرة وأجيال الأمة القادمة وثانيا على صورة الاستفادة من رصيد الآخرين كحصيلة إنسانية تجمعت وتضخمت من تجارب البشر عبر عمره الطويل فكلا هذين الغلو والتفريط انعكست آثارهما السيئة بصورة ملموسة على هاتين النقطتين من بين أمور أخرى معرفية وتفكيرية كثيرة ولا يسعنا ونحن في هذه المقالة القصيرة سوى أن نقف وقفة تجاه هذين التيارين اللذين نجابههما اليوم ونلمس آثارهما على الصعيد العالمي الإسلامي. فنرى أن من الواجب علينا أن نتناول المسئلة بموضوعة تامة من غير ميل لهذا أو ذاك كي نضع في أنصبتها ولا نتحامل على هذا أو ذاك ظلما وعدوانا.

**تمهيد**

إن حركة التجدد أو ما يسمونه ب"العصرانية الإسلامية" حركة تفكيرية حدثت كرد فعل لما ابتليت به الأمة على المستوى العلمي، والمعرفي، والتفكيري، والسياسي، والاقتصادي من تخلف وتشتت وتمزق وضياع وهوان أوجد هذا الضياع والهوان لدى بعض علماء الأمة ومنوريها ومثقفيها وعيا عميقا وتأسفا شديدا ولهفة زائدة تجاه ما منيت به الأمة من جميع جوانبها فقلبوا أحداقهم إلى ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ومن ثمة إلى تراثهم التاريخي ومنابعهم التي كانت الأمة تستقي منها أفكارها وجميع مقومات حياتها ولا جرم أن الكتاب والسنة تتبوأن المكانة الأولى من بين تلك المنابع فاستخلاصا للأمة من هذه الشدائد التي تشد الخناق منها رأوا أن من واجبهم أن يحاسبوا الماضي على علاته وأن يغربلوه غربلة دقيقة يصفون بها جميع ما علق مدى التاريخ الطويل بعقلية الأمة فصدتها عن مواصلة سيرها الحضاري من أدران الجمود و الركود و أوساخ الأساطير والخرافات كما رأوا أن من واجبهم الضروري أن ينفخوا في أبناء الأمة روح العلم والمعرفة الحرة الطاهرة من أقذار التاريخ وأن يوقدوا فيهم مشعلة الجهد والسعي لأن يتقدموا إلى الأمام بخطوات سريعة كي يلحقوا ركب الحضارة الإنسانية و يتداركوا ما فات الأمة منها في أقرب وقت ممكن و تحقيقا لذلك الهدف الاسمي اتجهوا بادئ ذي بدء نحو كتاب الله مريدين أن يستقوا منها تفكيراتهم وأن يعملوا على ضوء خطته المجيدة لأنه الطريق الوحيد لإنقاذ الأمة فبينوا أن سبيل الوصول إلى الاستفادة من رسالة القرآن هو أن نتجه في فهم كتاب الله صوب فهم جديد يتماشى مع روح العصر ومعطياته العلمية الإيجابية ونعطي حلولا سليمة لما تعانيه الإنسانية من مشاكل معقدة أعيت العالم جميعا فهم يعطينا نحو عقلية الإسلام الحضارية تفكيرا سليما و خطة رشيدة. وكأمر افتتاحي لذالك العمل الهام أعلنوا في ذاك الصدد عدائهم البالغ و براءتهم الشديدة من كل ما يتنافى مع معطيات العلم الحديث أو مع تفكير العقل السليم مما شحن به كتب التفسير وعلق عبر التاريخ كتفسير أو تأويل بكتاب الله المجيد و بذلك صرنا أمام تيار جديد في التفسير مستبين العالم، متميز الملامح، واضح السمات ناصع القسمات وما يهمنا ونحن على جناح السرعة في هذه المقالة القصيرة هوان نلقي طفيفا من الضوء على موقف هذا التيار التفسيري و مدى نجاحه في تقديم فهم قرآني نابع من محض كيانه أصيل غير متأثر لا بركام الماضي ولا بلجاجة الحاضر يتواءم من جانب مع معطيات العصر الحديث ويتوافق من جانب آخر مع روح الكتاب والسنة يفي بمتطلبات الإنسان العصري الدائخ تحت معاول العصرنة و البائس بما أفرغت تلك الحضارة الفارغة من القداسة والعقيدة روحه من جميع المعنويات كما نريد أن نلقي نظرة ولو خاطفة على تفسير المحافظين وعقليتهم في هذا الصدد.

وفي حقيقة الحال أن تلك الأمور التي عددناها فوق كانت هي الحوافز الأصلية لهؤلاء المتجددين لأن يغمروا تلك المعارك الفكرية الدامية مع ثلة المحافظين الذين يرون أن كل الخير فيما سلف وأن جميع سبل الفلاح في محافظة القديم ولا يتحقق الفلاح للأمة إلا بالحفاظ على القديم بعجره و بجره.[1]

---

1 انظر إبراهيم شريف **اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر**، دار التراث، الطبعة الأولى، القاهرة 1982م .14.2.ص57.

فنحن الآن مع فريق العصرانيين\المتجددين كي نستبين معالمهم الفكرية وما انتهجوه في هذه القضية المصيرية للأمة وقبل أن أسرد المعالم الفكرية لهذه الحركة أود أن أشير إلى أمر لعله يلقي الضوء بين حين وآخر على بعض من الحقائق التي نحن بصدد إبرازها وهو أن الغالبية العظمى من أساطين فكرة الحركة التجددية -إن صح إطلاق اسم الحركة عليها- تربت إبان أمرها في ربوع البلاد المستعمرة التي رزحت تحت سيطرة الاستعمار ردحا من الزمن فمن أهم زعماء هذه الفكرة محمد عبده (ت 1905) وفريد وجدي (ت.) وطنطاوي جوهري (ت.) من مصر التي احتلت من طرف نابليون عام 1798 وبقيت مدة طويلة تحت نير الاستعمار الفرنسي ثم الإنجليزي وتأثر الجو العام الفكري في مثل تلك البلاد المستعمرة سلبا وإيجابا إلى درجة كبيرة بأفكار كلا المستعمرين كما إن القسم الكبير الآخر من أساطين هذه الحركة من الهند من أمثال سور سيد أحمد خان والدكتور خليفة عبد الحكيم وغلام أحمد برويز وغيرهم ممن تربوا في أحضان أراضي الهند التي أنت أيضا تحت وطأت الاستعمار زمنا غير قليل. وقبل الخوض في عرض ما أتوا به من الفهم الجديد لبعض آي من كتاب الله نلقي نظرة عابرة على أهم معالم هذه الحركة الفكرية التي أحدثت ضجيجا وعويلا في شتى أرجاء العالم الإسلامي وانعكست أصدائها السلبية والإيجابية بين جنباته الفسيحة ولا تزال إنتاجاتها رائجة لدى البعض من منوري المسلمين ولكن بصورة كثر توسيعا للعقل في تفكيره-سليما و سقيما-و أكثر تقليدا للغرب في معطياته الفكرية-صالحة لنا أم فاسدة- فوقعت هذه الطائفة بجيلها الأخير في ما ذمت المحافظين عليه حيث ذموا المحافظين في تقليد اوائلهم المسلمين و هم أنفسهم قلدوا أفكار الغرب ورددوها من غير وتمييز فصدق عليهم تلك الكلمة الحكيمة: **"من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يفعله"**.

**معالم فكرة التجدد**

إن لهذه الحركة معالم هي التي تدل على كيانها و تشكل صلب ولا يسعنا و نحن على جناح السرعة إلا أن نمر عليها مرا سريعا و نذكر أهمها فحسب و ندع سائر التفاصيل لمحلها من المصادر التي يهمها الحركة نرى أن أهم مميزات هذه الحركة أمور ثلاثة هي كما يلي:

1-**العقل**:إن المتحديدين يهتمون بالعقل و أعماله و إفساح المجال له إلى أقصى الحدود فإن أصحاب هذه الفكرة ترى أن من أهم أسباب تخلف المسلمين هو تقديم بالنصوص معرضين عن أعمال العقل مهما كان معطاء كما أن في الجانب الآخر أن أعظم السبب في ترقي الغربيين هو العمل على ضوء موحيات العقل منفلتين عن قيود النصوص فلذا كان أولى واجبات المسلمين هو تربية العقل الإسلامي تربية جديدة و إطلاق العنان له و امتناعه إلى أقصى حدود ما يمكن بحرية تامة في جميع ما يزاوله من عمل و التحاكم إليه في جل –أو قل كل- ما يعرض للتأمل و التدبر من نصوص أو أمور حتى و لو كان من الأمور الغيبية\المتافيزيقية التي لا مجال لمداخلة العقل فيها فليعمل العقل فيها ما وسعه العمل و ليوجه العقل ما يعرض عليه من أنباء الدين حتى تلك الأمور الغيبية \المتافيزيقية توجيها عقلانيا ينسجم مع اتجاه العصر الجديد و معطياته نعم نرى للمتحددين و من حذا حذوهم اتجاهين متعاكسين نحو العقل و دوره فحينا تراهم يذكرون ان للعقل ميدانا محددا و هو دائرة الاستدلال[2] و حينا آخر تراهم يقطعون شأوا بعيدا منقطع النظير في جميع التاريخ الإسلامي في اتجاهاتهم العقلية و تفسيراتهم العقلانية لبعض من الحقائق[3] فبينما نرى محمد عبده يقول إن العقل غير أهل لمعرفة ماهية الأشياء على الإطلاق[4] تراه في الاتجاه الآخر يؤكد إن الإسلام لم يأت بأي تحديد للتحاكم إلى العقل في البحث عن كنه المخلوقات كما يذكر إن لا حد لنشاط العقل ضمن دائرته و إن لا نهاية لبحوثه[5] كما نراه ينند في مواضع متعددة من كتابه رسالة التوحيد بالذين يضيقونه مجال الحركة على العقل قائلا:إذا كان الإسلام منح العقل و الإرادة شرف الاستقلال فما بالهم شدوهما إلى أغلال[6] بينما نرى طه حسين يذكران العقل واحد من تلك القابليات التي متع بها الإنسان فمن ذا أن قوة العقل محددة يمكن أن يفهم بعض الأشياء بينما يعجز عن فهم الآخر.[7]

ان ما نراه من هؤلاء المتحددين من الواقعية حول العقل و دوره و دائرة عمله و ما يرى لهم نحو موقف العقل من شيء من المرونة أو قل من التحفظ عن الإفراط في إخراج العقل عن موقفه الطبيعي إنما هو شيء نظرى فحسب لا ترى له عندهم في دنيا الواقع عينا ولا اثرا و من هنا يبرز لهؤلاء الطائفة الاتجاه المعاكس للعقل فمثلا خذ من محمد عبده إلى أي واحد تريده منهم و انظر إلى فكرتهم في بعض من تلك الأمور الغيبية التي أخبر بها القرآن

---

Mazharuddin Sıddıki, *İslam Dünyasında Modern Düşünce*, (çev. Murat Fırat-Göksel Korkmaz), 2 Dergah Yay., İstanbul 1990, s. 44.

3 أنظر مثلا لتلك التأويلات الباطلة الزائفة حول مفاهيم الله وللآخرة و جبريل عند البعض الكبر منهم نفس المصدر فيما بين صفحة64 و صفحة 77.

4 نفس المصدر.

5 ؟

6 محمد عبده رسالة التوحيد,ابران 1974 ص.266.

7 مظهر الدين صديقي نفس المصدر ص.46 .

الكريم كأمور غيبية إيمانية يجب الإيمان بها تحت معطيات الوحي فقط لا مجال لتفكير العقل في هوياتها و إثبات ماهياتها ماديا كمفهوم الله والملائكة و الجن و نعم الآخرة[8] سوى الإيمان بها ترى هناك منهم العجب العجاب فيما أعطوه للعقل من فسحة التأويل و التفسير بما ؟ ثم مع نزعتهم العقلانية من جانب و لا يوائم أيا من الكتاب و السنة في الجانب الآخر فمثلا إن الإيمان بالله كما هو مأخوذ من كتابه و مبين على لسان نبيه شيء خاص فيها الكثير منهم حسبما أوحت إليه نزعته العقلية بل كل أتى باتجاه غير الآخر وافق الكتاب أم لا بينما تراهم لا يتحاشون عن إطلاق بعض من تلك التعابير التي ندد بها الإسلام بصورة زائدة كالشرك يقول مظهر الدين صديقي أن غلام أحمد برويز الهندي يزعم ان الكتاب الأخيرة التي أفصح بها الرسول صلى الله عليه و سلم مقدمه إلى الآخرة و هو قولته إلى الرفيق الأعلى ضوا جديدا على الصلة التي بين الله و بين عباده[9] و يصرح برويز بمبتكره الجديد في العقيدة في ضوء هذه الكلمة حيث يقول ان أعظمية أحد من الشريكين معاونة مثمرة[10] ...فالرجل يرى ان الصلة العبودية التي بها يتصل بها العبد بربه شرك بين الله و عبده تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا إلى آخر معتقداته الزائفة الباطلة مما كان الإسلام منه برآء كما لا يتحرجون عن تصور الألوهية بالمقايس البشرية[11] والتنزيل بالألوهية إلى المستوى البشري.[12]

يبدو من آرائهم و معتقداتهم تلك مدى تأثرهم البالغ بالمعتقدات الوافدة من الصليبية إلى العالم الإسلامي تحت شعار العقلانية و ما ضاهاها فكما ترى كثيرا من تلك الفلاسفة الغربيين الذين لم يأخذوا أية تربية دينية صحيحة مستقاة من هداية الرسالة الربانية و نهلوا من تلك المناهل الغربية المشبوعة بالالحادية (materyalizim)و الوضعية(pozitivizim) والدنيوية(secularizim) و العلمانية لا يصلون إلى تفكير صحيح نحو ذات الله و صفاته و سائر الأمور الغيبية فكذا بعض من هؤلاء المتجديين لا يكادون يصلون إلى تفكير صحيح سليم في الله و صفاته و سائر الأمور الغيبية فكذا بعض من هؤلاء المتجديين لا يكادون يصلون إلى تفكير صحيح سليم في الله و صفاته ة الملائكة و معجزات الأنبياء حيث يكتفون بايحاآت العقل فحسب و لا يهتدون بهدى القرآن الذي لا يوافق هواهم و من هنا نقدر موقف محمد إقبال من العقل و مدى إصابته حيث يقول إن العقل قاس لا يرحم و في نفس الوقت يغيب عن وعيه في زحمة السبب و المسبب...كما أنه ملامس كأكثر ما يكون بالشبهات و المخاوف.[13]

-2

**المعارضة العنيفة:** من أهم السمات الفكرية لطائفة المتحديدين معارضتهم الشديدة لميراث المسلين التاريخي من فقه و حديث و كلام و تفسير و نحوها لأنهم يرون أن جل ما أصيبت به الأمة من النكبات والمصائب إنما كان من جراء تلك العلوم التي صرف المسلمون فيه أوقاتا كثيرة وطاقة ذهنية زائدة يقول مظهر الدين صديقي صاحب كتاب الفكرة التجددية في العالم الإسلامي إن المتحيدين يعلمون جهدهم كي يؤسسوا نظامهم الاجتماعي وفق الإسلام الأصيل الذي لم يعتره أية شابية فكرية ولكن إن معارف القرون الوسطى في الفقه و الدين حالت بينهم و بين ما يشتهون[14] كما نرى فضل الرحمن الباكستاني الذي هو من المعتدلين في هذه الفكرة –حسبما رأيناه-يدعي إن الخمود والكسل الفكرى-الذي أصيب به العقل الإسلامي- قد نشأ من القواعد التي تركز عليها الفقه الإسلامي[15].كما نراه يدعى في محل آخر أن عقوبة الشافعي لعبت دورا كبيرا في تأمين الاستقرار لحياتنا الدينية و الاجتماعية في القرون الوسطى و لكن تحقق ذلك كان على حساب غياب الإبداع و الإصالة في العقل الإسلامي في المتتالية لا جرم إن الإسلام هضم وامتص في العصور التالية كثيرا من تلك التيارات الجديدة للحياة الفكرية و المعنوية لأنه لا يمكن أن يبقى أي مجتمع حي ساكنا بلا حركة ولكن إن الإسلام إنما حقق ذلك ليس ككائن فعال متحكم بنفسه بل ككائن غير فاعل إن تلك التيارات جرت على ساحة التاريخ بصورة غير فعالة دائما.[16]

إن طائفة المتحددين لتأثرهم البالغ و انبهارهم الزائد بتقدم الغرب و تفوقه في ساحات العلوم و الفنون الاجتماعية و التكنولوجية المنعكسة آثارها الإيجابية على مختلف مجالات الحيات السياسية و الاقتصادية –مما فرضت سيادة الغرب على العلم احمع-رأوا إن إنقاذ العالم الإسلامي مما يعانيه من التشتت و الضياع و التخلف لا يمكن إلا بمحاسبة ميراثنا التاريخي في الميادين المختلفة على ؟ فخاضت تلك الطائفة في غربلة بلا هوادة ولم يبق جلهم من ذلك الميراث العظيم سوى نزر يسير فمن هنا نرى إن المعارضة كانت من أهم سماتهم المميزة فتكميلا لجوانب البحث شيئا من الضوء على تلك الميادين التي تبرز فيها معارضتهم بصورة واضحة.

---

[8] انظر هنا كلمة لمظهر الدين نفس المصدر ص 67.
[9] نفس المصدر 66.
[10] نفس المصدر ص 66-67.
[11] نفس المصدر ص 67.
[12] نفس المصدر ص 68.
[13] نفس المصدر ص48.
14 نفس المصدر ص39.
15 Fazlurrahman, *İslam ve Çağdaşlık*, (çev. Alparslan Açıkgenç ve M. Hayri Kırbaşoğlu) Ankara 1996, s.94.
16 Fazlurrahman, *Tarih Boyunca İslami Metodoloji Sorunu*, (çev. Salih Akdemir) Ankara 1995, s.36, 37.

مجالات المعارضة-حسبما استقر أنا-تجاه التراث التاريخي الممتد بعض من انعكاساته أو قل المستمر بعض من امتداداته الزمنية إلى يومنا هذا **التقليد و التصرف و معارف القرون الوسطى في ساحات الكلام و الفقه و التفسير** وإن شئت قل العقلية التفكيرية للمسلمين في تلك القرون كما ترى تلك المعارضة تزيد بين علم و آخر.

1-**التقليد:**

إن التقليد الذي هو عبارة عن محاكة الغير في الفعل و العمل أو الفكر و العقيدة إذا استحكم في عقلية فرد أو جماعة أخذ عليه جميع مسالك الاستقلال الذاتي و سد في وجهه كل طرق التحرر إن في العمل أو التفكير أو العقلية و خصيصا إذا رأى المقلد إن ما عليه المقلد صائب لا محالة أو و إذا رأى المقلد إن الصواب في وجهة تقليده فلا يرى أية حاجة إلى العناء بنفسه كي يتحشم التعب الفكري أو العمل التفكري للوصول إلى وجهة أخرى أية ما كانت.

إذا ألقينا نظرة خاطفة على القرآن رأينا إنه شن غارة شعراء على التقليد و من اتخذوه مسلكا-وإن لم يستعمل كلمة التقليد بمادتها-و ندد بكثير من أنواع التقليد التفكيري و العملي و خصيصا تقليدا بلا وعى ولا بصيرة كما نشاهد ذلك ثنايا كلامه المجيد: **"و إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آبائنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون."**[17]

**"وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل وجدنا عليه آبآئنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير."**[18]و غير ذلك من كثير من آياته البينات[19] و تجاه ذلك الواقع التقليدي المرير حث القرآن الكريم على التحرر من رقبة التقليد بالتفكير العقلي السليم المطلق من كل قيد و ضغط:

**"قل هل يستوي الأعمى و البصير أفلا تتفكرون"**[20] **"أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات و الأرض و ما بينهما إلا بالحق و أجل مسمى..."**[21]**"أولم يسير في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم..."**[22]

و بطبيعة الحال كان هذا التفكير الحر السليم الذي يحث و يأمر به القرآن من أهم السمات الحضارية الإسلامية كما أنه من أهم العوامل الديناميكية التي فتحت فيما مضى من الزمن على العقل المسلم آفاقا واسعة في العلم و المعرفة و التفكير و الأمر لا يقف عند هذا الحد بل نرى الاهتمام الإسلامي بالتحرر عن قيود التقليد و التخطى على بنوده يغطى مساحة واسعة من العمل إلى العقيدة من هنا كان الأوائل من عظماء الأمة يرون إن الاجتهاد واجب و إن التقليد حرام على من لديه بضاعة الاجتهاد كما كانوا يرون-ولا يزالون-إن التقليد في أمر العقيدة أيضا غير جائز و إن إيمان المقلد غير صحيح حتى نرى اللقانى بعد القرن العاشر الهجري يعلن في منظومته في العقيدة قائلا:

فكل من قلد في التوحيد * إيمانه لم يخل من ترديد

فإذا كيف وقع ما وقع على المسلمين من الطامة الكبرى من أمر التقليد رغم ما نرى أن ليس للتقليد في الإسلام من مكانة حسنة و إنه لم يحبذ التقليد يوما ما نرى أن جل ما عاناه العالم الإسلامي سلفا و خلفا من ضياع و غياب حضاري و أزمات فكرية و تمزقات سياسية و تخلفات عملية لم يكن إلا من هيمنة سلطان التقليد على المسلمين في جل أعمالهم العلمية و التفكيرية حتى سبب ذلك الشلل الفاضح في العقل الإسلامي و نتج من ذلك أن غاب من الساحة الطاقة التفكيرية التي ينقدح منها المشعل الحضاري المتقد من الأسس والقيم والمبادئ الحضارية التي يمتلكها الإسلام أكثر ما يكون. إن المسلمين فرضوا على أنفسهم التقليد بصورة وخيمة بحيث سد عليهم كل منافذ التفكير السليم المنتج والتدبر المعطاء و صاروا يكتفون أما بلوك ميراث القدماء فحسب من حيث يرون إن كل خير في إتباع من سلف و كل شر في ابتداع من خلف من جانب أو تقليد المتقدمين الغربيين من جانب آخر.

كل ذلك مما ذكرنا و ما لم نذكر يدلنا على أنه كان للمتجديدن مبرر واسع في صولتهم على التقليد و ذويه بلا رفق ولا هوادة كما نرى ذلك واضحا في كلمات محمد رشيد رضا حين يعلق على قوله تعالى **"و إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله و إلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آبائنا أولو كان آبائهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون"**[23]حيث يقول :ذمهم من ناحيتين احداهما على الجمود على ما كان عليه آباؤهم(أي التقليد)والاكتفاء به عن

---

[17] 170/2 البقرة.
[18] لقمان 21/31
[19] انظر القرآن الكريم البقرة170/2 ,المائدة5\104, /الأعراف7\28,70,173,يونس10\78,هود 11\62,87,109 ابراهيم14\10,الأنبياء21\53,الشعراء26\74,الزخرف43\22,23.
[20] الإنعام6-50
[21] الروم30-8
[22] الروم 30-9
[23] المائدة5-107

الترقي في العلم و العمل و ليس هذا من شأن الإنسان الحي العاقل فإن الحياة تقتضي النمو و التوليد و العقل يطلب المزيد و التجديد و الثانية إنهم بإتباعهم لآبائهم قد فقدوا مزية البشر في التمييز بين الحق و الباطل...الخ[24] بيد و بصورة واضحة إن رشيد رضا اعتبر التقليد من أهم أسباب التأخر و من أعظم العراقيل دون الترقي و هو الحق لأنه يحول بين المرء و التفكير الصحيح السليم و التدبر المعطاء المنتج الذي يجول به المرء في آفاق العلم و المعرفة الصاعدة يبنى الإنسان إلى عوالم أخرى كما يرى رشيد رضا إن التقليد من أهم أسباب تأخر المسلمين خاصة يقول ثم نكس المسلمون على رؤوسهم إلا قليلا منهم واتبعوا سنن من قبلهم من أهل الكتاب و غيرهم في التقليد لآبائهم و مشايخهم المنسوبين إلى بعض أئمة علمائهم الذين نهوهم عن التقليد و لم يأمروهم به فأبطلوا بذلك حجة الله تعالى على الاسم التي و كل الله دعوتها إليهم[25] و هذا القدر مما يتفق عليه أولو الألباب قاطبة من حيث إن من أعظم أسباب تخلف المسلمين هو الجمود و الركود الفكري والخواء الروحي اللذين منى بهما العقل الإسلامي طوال القرون الوسطى فسبب ذلك الغياب الحضاري الذي كان السبب الرئيسي في انجلاء المسلمين من ساحة الحياة بهزيمة روحية و عقلية مادية و معنوية معا و السبب الرئيسي في ذلك كان التقليد و غياب الإبداع الفكري ولكن رغما من حقيقة فكرة معادات التقليد الأعمى و ما أتى منه على العقل الإسلامي من خسائر فادحة ترى ترى بعضا من المتحددين في كثير من الأحيان يجاوز حد الاعتدال إلى حدود الإفراط والذم المهين فمثلا ترى المتحدد الهندي سور سيد أحمد خان حينما يشن على التقليد يصول على المقلدين و يلدعهم بهذه الكلمات المؤلمة:إن الناس اتخذوا عادات آبائهم و تقاليدهم مع الله إلها آخر و كذا اختلفوا مع النبي محمد صلى عليه وسلم أنبياء آخر كما جعلوا مع القرآن ؟ أخرى فيتحتم علينا أن نفعل بهذا الإله المختلق و النبي والقرآن الزائفين ما فعل إبراهيم بأصنام آبائه كي نؤسس على الأرض من جد يد إطاعة الله الواحد الأحد و إطاعة رسوله الحق و متابعة كتابه الحق[26] و من هذه الجملة ترى فضل الرحمن أيضا يصول في بعض من كتبه و مقالاته على عقلية المسلمين العلمية في القرون الوسطى و خصيصا في الكلام و الفقه فإن جبرية الأشعريين-حسب رأي فضل الرحمن-حالت بين المسلمين و كثير من الجهود الجبارة التي تسمو بالمجتمع الإسلامي إلى آفاق علمية حضارية واسعة كما أن غلق باب الاجتهاد و الجمود على النص دون فهم مغتراه و إدراك مرماه مما حال بين المسلمين و الإبداع على المرء المسلم تلك الأفاق التي منها ينفذ التفكير إلى فهم روح الشريعة و هضمها و تقديم رسالات الله منها في ثوبها العالمي القشيب.

**2-التصوف:**

إن الإسلام باعتبار منابعه الأصلية من الكتاب والسنة كجنات تجري من تحتها الأنهار فيها حدائق مختلفة جميع أنواع الطعوم والروائح و الأزهار إلى كل ما تشتهيه الأنفس و تلذ الأعين يجب المرء في الإسلام كل بغيته المادية والمعنوية من الحركة و الحيوية و الجهاد إلى الزهد و الترفع ملذات الحياة و من العلم والتفكير الحر إلى النشاط السياسي و التنظيم الدولي ومن الأخلاق إلى الاقتصاد و ليس واحد من هذه المجالات جميع الإسلام بل كل منها بعضه فمن هنا يجد الذي لديه تطلع إلى الصفاء النفسي والسمو الروحي و تشوق إلى التقوى والزهد و تزكية الأخلاق في الإسلام و منابعه الأصلية منيته و الرسول عليه الصلاة و السلام ككونه قائدا ربانيا يدعو العالم بأجمعه إلى طرق الخير و سبل الهدى كان لا بدأن يكون متعففا في حياته كلها عن دنس متابعة الهوى و الملذات و مترفعا في موافقة كلها عما يمس تلك الاصالة الخلقية والعملية التي متع بها الرسول كحجة قويمة على رسالته و صدق دعواه من التضمخ بقاذورات جمع الأموال و الثروات و بسط الجاه و الاستغراق في الملذات و غيرها.

و من هذه الناحية العملية الخلقية في حياة الرسول و ما ينضم إليها من تلك الآيات التي تحث على التقوى و تمنع عن الخلود إلى الدنيا و الركون إلى مفاتنها وجد الذين يغلب على نزعتهم الجبلية الجانب الروحي أو العاطفة الروحية في الإسلام نقطة استناد لهم و كان ذلك بدء نجاح في الظفر ببغيتهم فبدأ أول ما بدأ الناشئة الصوفية و كانت أول أمرها منحصرة على تزكية النفس و نفخ روح الزهد والتقوى فيمن يتخذونها مسلكا و كانت من هذه الناحية أمرا غير ضارة بالأمة و مسيرها النشاطي بل كانت نافعة للمسلمين من شتى النواحي و باثة في الأوساط الإسلامية معالم التقى و روح الخير و البر و عاملا هاما في التجنب عن رذائل الأخلاق و طهارة النفس عن الخسائس[27] و كانت حصنا ؟ بها تلك الطائفة التي تهرب من غوغاء المجتمع و ضوضائه إلى كنف الاختلاء بالله والانقطاع عن الناس و ترك المعاصي و الشهوات ولكن لم تقف عند تلك الحدود و أخذت تتدرج مع الزمن في تطوير كيانها و ارساء قواعدها ضاربة باطنا بها في معظم الكيان الاجتماعي عبر العلم الإسلامي و برزت على الساحة كمؤسسة أو قل كحركة توجيهية لها قوالبها و قواعدها و أصولها و فلسفتها و عاداتها و رسومها و لها نظراتها الخاصة إلى الوحدانية و انعكاساتها العملية و النفس والروح و الكون والأحداث و لها شيوخها وطلابها و مؤسسوها بجانب ما لها من النموذج المعرفي آتية من هنا و هنا بعادات و سنن فلما تجدها بتلك الصورة المؤسسية الأصولية في كتاب

---

[24] محمد رشيد رضا,الوحى المحمي,المكتب الإسلامي,ص252.

[25] المرجع السابق,ص253.

[26] صديقي المرجع السابق ص39.

[27] انظر محمد أبي حامد الغزالي,المنقذ من الغلال, مؤسسة الكتب الثقافية,الطبعة الثالثة,بيروت1991,ص46,49-50

أو سنة كما تراها حينما يبلغ ذروة سنامها المؤسسي يأخذ بالجانب الروحي من الإسلام مهملا الجانب الحركي العملي الذي يهدف واقع الحياة كي ينظمها فيصلحها كأنما الإسلام أنزل روحا بلا جسد أو كأن الحياة شيء و الإسلام اخر أو كأنه مجرد طقوس دينية لا توجد لها آية صلة –ولو ضعيفة-بملابسات الحياة و توجيهها و تقويمها على المحور التوحيدي الذي هو المحور الأصيل الوحيد في كتاب الله المجيد فجرد الحركة الصوفية سوى روح بلا جسد كما صار العالم الإسلامي جسدا بلا روح.[28]

و من هنا صارت الحركة الصوفية هدف الملام لكثير من الذين يقض حال العالم الاسلامي مضجعهم و تأتي على رأس هؤلاء الذين يلومون على المتصرفة لقطعهم أواصرهم من المجتمع العصرانيون\المتجددون فتراهم يهاجمون على التصرف وذويه كاشد ما يكون .فمثلا يقول صديقي إن الإسلام يحاول بادئ ذي بدء ان يحافظ على نظام المجتمع و إنقاذ حاضر الإنسان و مستقبله باستعمال قواته الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية مع إن الفلاح في دار الآخرة إنما يمكن بالجهد والسعي في سبيل إصلاح المجتمع فإذا كان المرء يهوى لإنقاذ نفسه فقط منفصما عن قيم مجتمعه المادية و المعنوية ولا يكون له أي تفكير نحو إصلاح بيئته الاجتماعية و السياسية فهل يمكن أن يحقق هذا المرء حياة إسلامية ؟[29]و يقول بعد كلام إن التصرف لا يوجد له صلة توجيهية بالمجتمع و التاريخ و الاحداث الاجتماعية و السياسية و إنما يتعلق بتجديد الفرد و فلاحه الأخر ؟ فحسب و يلقنه دائما اللين و الكسل و القناعة[30] يرى العصرانيون إن هذه السمة –التي يعتبرونها أخص مميزات الصوفية و المتصوفين-أماتت الديناميكية الإسلامية التي تسير بالمجتمع أشواطا بعيدة في الترقي المادي و المعنوي و التطور العلمي و المعرفي و الإصلاح الاجتماعي و معارضة السوء و الشر بجميع أنواعه كما إن البعض منهم يرى إن التصرف انقلب إلى دين جديد[31] و من هنا يشنون غارة شعراء على التصرف و ذويه ترى فضل الرحمن الباكستاني –ولعله من أوساطهم-حينما يذم المعاصرة يقول إن آفة المعاصرة التي خرجت في زي الدنيوية(secularizim) أشد ضررا بكثير من الهيات النصرانية في القرون الوسطى ومن التصرف الإسلامي[32] و هذا يكفي دليلا على يضمره الحركة التجددية و ذورها من الضغن والأحنة على التصرف و ذوية.

### 3-عقلية المسلمين العلمية في القرون الوسطى

إن ما يعيشه العالم الإسلامي من التخلف و الانحطاط و التدهور العلمي والعملي والتشتت الفكري و الضياع السياسي ساق المفكرين والمثقفين المسلمين و منورى القلوب والعقول منهم-كما أسلفنا-عبر العصر الذي نعيش فيه إلى أن يفكروا طويلا تجاه أسباب هذه المشاين التي أوقعت من حين من الدهر على جبين العالم الإسلامي –و كان الإسلام بجميع معامله الفكرية براء منها كاشد ما يكون –فحاسبوا حاضر العالم الإسلامي و ماضيه على ؟ ؟ البعض الغالب منهم و خصيصا المتجددون إن من أهم أسباب هذا التخلف المذل المميت هو هيمنة الجمود و الخمود على عقلية المسلمين العلمية طوال القرون الوسطى بسببما ابتلوا به من الانجماد على النصوص و الاستغراق في الصخب و الترف اللفظي الذي لا يأتي بخير عاجل أو آجل فمن ذلك نرى لدى الفرقة المتجددة معارضة بالغة تجاه تلك العقلية مثلا فضل الرحمن يحمل على عقلية الفقه الإسلامي في تلك القرون كأشد ما يكون رائيا إن سبب جمود الروح الغسلامي و خوانه إنما هو في الأصول و القواعد التي أسسها الفقه الإسلامي[33] –و نحن بدورنا براء من هذه الفكرة غير أن هذا ليس محل مناقشة هذه الفكرة –كما يرى إنه لا يوجد في أواخر القرون الوسطى للإسلام صلة أصولية بين النظرية و الحياة الواقعية[34] و يحمل على الكلام و خصيصا المذهب الشعرى حملة لا تقل من ذي قبل كما إن صديقي يقول بصراحة إن الفقه الإسلامي يرد من قبل كثير من المتجددين بما إن الفقهاء غير معصومين من الخطأ[35] و علم التفسير في القرون الوسطى أيضا يأخذ حصته من نقدهم اللاذع يقول شبلي:إن المفسرين جعلوا المسلمين بحيث يؤمنون بكل الأساطير كما جعلوهم بحيث يقبلون كل معجزة أو تكهن قيل وروى عن الأنبياء[36] إن فرقة المتجددين يقطعون أشواطا بعيدة في معارضة العلوم الإسلامية في القرون الوسطى حيث يدعى صديقي إن التجددين المعاصرين اتفقوا على أن لا حاجة في متابعة الإسلام إلى الهيات القرون الوسطى و الفقه الإسلامي الذي تطور فيها إلى حد كبير بل إنها لا تتوائم مع التعاليم الإسلامية.[37]

---

[28] انظر محمد رشيد رضا تفسير المنار,دار الفكر,الطبعة الثالثة,ج10ص374-382.
[29] انظر السابق و صديقي المصدر السابق ص28.
[30] المرجع السابق ص29.
[31] المرجع السابق ص 31.
[32] Fazlurrahman, *İslam ve Çağdaşlık*, s.78.
[33] المرجع السابق ص 28.
[34] نفس المصدر ص 98.
[35] صديقي المصدر السابق ص 59.
[36] نفس المصدر ص 60.
[37] نفس المصدر ص 61.

تحصل من مجموع ما سبق إن من أهم السمات الفكرية للحركة التجديدية هي المعارضة لحصيلة تاريخية و ثروة علمية واسعة تطورت و تربت في أحضان القرون الوسطى بما يرى أصحاب هذه الفكرة إن تلك الحصيلة مجرد ركام تاريخي لا يتسنى لنا أن نعامل بها كموجة حياة سوى أنها مادة و ثورة تاريخية ينبغي الحفاظ عليها في متاحف التاريخ كي نفرج عليها بين حين و آخر كتفرجنا على أي معمول تاريخي آخر فلا ينبغي إن نجعلها اليوم كراند لنا يوجه حياتنا و يحدد قيمنا فإنها ستتحول آنئذ إلى حاجز حصين يحجز بيننا و بين مدارك عصرنا الذي نعيش فيه و يعرقل مسيرنا الحضاري البتة لفقدها ما كان لها من الديناميكية الفعالة و الطاقة الحيوية.

الحق إن هؤلاء الطائفة مصيبة في بعض مقارباتها و متحامل بإفراط بالغ في بعضنا الآخر فالصواب أن لا نجاوز حد الوسيطة التي هي من أهم سمات هذه الأمة المرحومة,فكما إن تراثنا العلمي التاريخي فيه الغث و السمين فكذا لا بد أن نكون تجاه تلك الثروة العظيمة في موقف الناقد البصير الناخب المتميز فما رأيناه نافعا نعض عليه بالبنان و ما سواه تركناه في محله.[38]

بعد هذا العرض القصير لأهم بعض قسمات الحركة التجديدية\العصرانية فلنعد إلى المقارنة بين اتجاهي التفسير التحددي\العصراني و القديم\الكلاسيكي في القرن العشرين التي هي الغرض من هذه الورقة.

**الاتجاه التفسيري الجديد**

قد تبين مما أسلفنا إن الحركة التجديدية المتبين انعكاساتها العقلية على قطاع كبير من شتى ميادين حياتنا العقلية و الفكرية حدثت كرد فعل من جانب لما منى به المسلمون في مشارق الأرض و مغاربها من بلاء و وباء تفكيري و شلل عقلي و تأخر سياسي و اقتصادي و ضياع و هوان دبلوماسي و غياب حضاري و غباوة ذهنية و بله معرفي و من جانب آخر تجاه ما أنجزته الغرب في كثير من مجالات الحيات البشرية من ترق و تطور يندهش منه العقل البشرى و يهت فهب هؤلاء الطائفة من منوري و مثقفي العالم الإسلام كي يوقظوا الأمة من رقادها الطويل و سباتها العميق فاتجهوا أول ما اتجهوا إلى مصادر الإسلام الأصلية كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم و عرضوهما على منجزات الغرب العلمية في شتى المجالات إن في ساحة الفنون التقنية أو في ساحة العلوم الاجتماعية فوجدوا في كلا المصدرين كما كبيرا و طاقة هائلة من مواد العلوم و مباديها كما يروي سيد وحيد الدين إنه بينما كان الدكتور محمد إقبال مقيما في بيته بطرق McLeod زاره زائر فبعد إن تحادثا مدة وجه الزائر الجديد إلى إقبال سؤالا و قال:"إنكم قرأتم كما كبيرا من كتب الدين و الاقتصاد و السياسية و الفلسفة و التاريخ فأي هؤلاء الكتب المؤلفة في تلك الميادين وجدتموه أعمق حكمة؟"فقام إقبال من أريكته وأشار إلى الرجل بيده أن أصير شيئا إلى أن أعود بعد قليل ثم ذهب إلى غرفته و عاد بعد دقائق و في يده كتاب ناوله للسائل قائلا له "إنه القرآن"[39]كما وجدا على الخصوص في القرآن اتجاها علميا و توجيها اجتماعيا يحير منه أولوا الألباب فرأوا أن الحل الوحيد و الدواء الناجع لهذه الأمة هو الرجوع إلى كتاب الله من جديد بعقل جديد و فهم جديد و معرفة جديدة و قرائة جديدة فنبعت من هنا نابعة الاتجاه الجديد في التفسير و هذا مما ينبغي أن يتفق عليه جميع عقلاء الأمة و فضلائها و لكن مقارباتهم نحو تفسير الأقدمين التي لا تخلو في غالب الأمر من إفراط و غلواء جعلت قطاع المحافظين تنفر و تهرب منهم و من جميع ما له صلة فكرية بهم –وإن كان في هذا أيضا غلواء و اعتداء-فكان الطريق الأوسط من الجانبين أن يقبل الحسن من كليهما و يرفض السيئ من كليهما أيضا كما نرى الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى سلك تلك الطريقة الوسطى في مقاربته نحو تفسير الأقدمين.[40]

فمع كون الطريق الأوسط أحق أن يتبع وقع اعتدا آت بالغة في تفسير هؤلاء المتجددين بحيث نفرت من تفاسيرهم كثيرا من الطائفة الغير المنحازة التي تتبع الحق لوجهالحق مهما كان و في يد من كان و على ماندة من كان.

**أهم الانحرافات الفكرية للتفسير الجديد:**

1-القصص:

إن أسلوب القصص يحتل موقعا كبيرا من البيان القرآني لحكم و فوائد كثيرة نبين منها هذه النقاط الثلاث لما لها من الأهمية:

1-كونها تضيف بموادها الغنية ثروة بيانية عظيمة إلى بيان القرآن المجيد.

---

[38] انظر محمد الغزالي,تراثنا الفكري في ميزان الشرع و العقل,الطبعة الثانية,فرجينيا1991,ص154.

[39] Muhammed Munevver, *İkbal ve Kur'ani Hikmat*, (çev. M.Ali Özkan) İnsan Yay., İstanbul 1995, s. 69.

[40] راجع محمد الغزالي,تراثنا الفكري,ص128-123

2 -إن القرآن بذكر تلك القصص التي قلما تجد لها موردا في الثقافة العربية السائدة على البيئة التي نزل القرآن فيها يعطي لأمته التي إجابته و اعتقد به موردا تاريخيا هاما كما يكون آخذا بالسرد القصصي دور المهيمنية على سائر الكتب المنزلة.

3-إن القرآن بذلك البيان القصصي يكون متحصلا على مواقع جمة هامة من الهداية و الدرس و العبرة و الحكمة و التسلية إن لرسول الله لسائر المؤمنين المكافحين في سبيل الإسلام عبر التاريخ.

بعد هذا العرض الموجز نعود إلى الصدد فنقول إن فهم طائفة المتجددين العصرانيين للقصص القرآنية يشكل أهم أعضاء الهيكل التفسيري لديهم فهم بما يعطون للعقل من أهمية قصوى يرفضون أي كيان قصصي يخالف سنن الكون الثابتة و قوانين الحياة المستمرة فمن هنا يتحاملون على ألفاظ القرآن كأشد ما يكون فنرى الأستاذ محمد عبده يخرج القصة أحيانا عن مدلولها الحقيقي التاريخي إلى مدلول تشريعي و تأويل عقلي حتى يقبلها المنكرون و يصدق بها المكذبون[41] كما ترى ذلك واضحا جليا -على سبيل المثال- في تفسيره لقصة آدم[42] و لذبح البقرة الواقعة في قصة بني إسرائيل[43] و في تأويله للطير الأبابيل في قصة الفيل[44] ثم إن فكرتهم في بعض آخر من القصص القرآنية غير مستبين بل تجد أنهم غيبوا المغزى في غوغاء الألفاظ و صخوب الكلمات واتوا بتأويلات في صورة من المعاني غير مستبين المعالم ولا متميز الملامح كما يبدو ذلك في تفسير المنار في قصة المار على قرية و قصة إبراهيم مع الطيور[45] كما ترى البعض الآخر منهم لا يتحاشى عن إنكار واقعية القصص القرآنية[46] من محمد عبده إلى خلف الله إلى نصر حامد.

وفكرة أن القصص القرآنية لا تلزم أن تكون واقعية بعد ما صاغها محمد أحمد خلف الله و طبخها في مطبخه الفكري و ألقاها إلى الصعيد العلمي شغلت المحافل العلمية ردا و قبولا منذ عام 1950 إلى يومنا هذا و لا تزال تثير أعجاب جمع كثير من ثلة المتجددين الأحياء في يومنا الحاضر كما كانت كذلك ماضيا فمثلا نصر أبو زيد المتربع على ذروة العصرية الإسلامية يقول ليس من الغريب في ظل هذا التصور-المستند إلى أطروحة عبده عن القصص القرآني-إن تكون قصة هجرة إبراهيم بإسماعيل -عليهما السلام- وهاجر إلى الكعبة معروفة للعرب قبل نزول القرآن و ليس و رودها في القرآن دليلا على صحتها التاريخية بقدر ما هو دليل على وجودها في وعي المخاطبين في القرآن و في ضمائرهم[47] -نعوذ بالله من هذا المقال-.

إن المتجددين ينكرون -فريق غير قليل منهم-واقعية القصص القرآنية أنقاذا لعقولهم من أدراك ما لا تطبق فهمه و لكنهم لا يعلمون إنهم يقعون بهذا في ورطة أعظم من جوانب كثيرة أقلها يلزمهم إن القرآن يكون كاذبا حيث يخير بألفاظ و جمل خيرية-يلزم أن يكون لها واقع و مصدق من الخارج -عن أشخاص وقعت في أزمة و أمكنة محددة أو قل مبهمة لكن من غير أن يقع لتلك الأشخاص في تلك الأمكنة و الأزمنة من تلك الأحداث شيء فهذا لعمر الحق نفس الكذب -تعالى القرآن عن ذلك علوا كبيرا كما نجد ذلك في كلام محمد عبده نفسه حيث يقول:و كل تأويل يخرج القرآن عن ذلك فهو بعيد عن معنى النص بل لا يقبله إلا من يقول إن الألفاظ العربية لا تدل على معانيها[48] - فإن قالوا إذا كان الغرض من سرد تلك القصص في صورة الأحداث الواقعية هو التمثيل و جذب النفوس و القلوب إلى هداية القرآن فإذا لا يكون هناك كذب بعدم واقعيتها قلنا إن احتمل ذلك الجواب فإنما يحتمل-مع ضعفه لدينا-في أمثال تلك القصص التي لم يذكر فيها و لم يحدد أسماء أشخاص القصة و إما فيما مثل به نصر حامد من قصة هاجر مع إسماعيل فلا يمكن قبول ذلك لا عقلا ولا نقلا و كذا الأمر فيما ذكره الأستاذ محمد عبده حول تأويل قصة آدم و الملائكة فإن كان المراد من أخبار الله الملائكة يجعل الإنسان خليفة في الأرض هو عبارة عن تهيئة الأرض و قوى هذا العالم وأرواحه التي بها قوامه و نظامه لوجود نوع من المخلوقات يتصرف فيها فيكون به كمال الوجود في الأرض[49] فإن كان المراد ذلك فنقول أكان الله عاجزا عن أن يبين ذلك ببيان عربي معجزا بلا لبس علينا ولا غموض حتى لا نكلف أذهاننا ما تعجز عن حمله من تلك التأويلات الغير المستبينة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

إن تلك المقاربة إلى القصص القرآنية من أهم انحرافات ثلة المتجددين العصرانيين في التفسير و هم بذلك يفتحون الباب على مصراعيه للمغرضين على الإسلام و ذويه لتأويلات باطلة لا توائم قليلا أو كثيرا مع طبيعة القرآن و سياقاته المقدسة.

---

[41] عبدالله محمود شحاته,منهج الامام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم,مطبعة جامعة القاهرة 1984,ص101.
[42] محمد رشيد رضا,تفسير المنار,دار الفكر,الطبعة الثانية,ج1,ص280-282.
[43] راجع المصدر السابق,ج1,ص351.
[44] راجع محمد عبده,تفسير جزء عم,دار ابن زيدون,بيروت1989,ص181-182.
[45] محمد رشيد رضا,المنار,2,من ص 49إلى 58.
[46] المصدر السابق,1,255.
[47] نصر حتمد أبو زيد,مقال أشكالية تأويل القرآن قديما و حديثا,, *İslami Araştırmalar Dergisi*, IX, say.1,2,3,4;Ankara1996,s.16
[48] محمد عبده,تفسير القرآن الكريم جز عم,دار ابن زيدون,الطبعة الثالثة,بيروت1989ص149.
[49] المنار,ج1,ص281.

**2-المعجزات**

إن الله ربى بحكمته العظيمة العقل المسلم حكمة عجيبة حيث إن العقل الذي يتربى في أحضان الهداية القرآنية ليس عقلا كسولا غبيا عن إدراك المعطيات العلمية السليمة كما أنه ليس عقلا جحودا كفورا بالآيات التي تدل على عظيمة الصانع سواء كانت تلك الآيات البينات مبثوثة على شتى صفحات هذا الكون المترامي الأطراف أم كانت تلك الآيات الباهرة مسطورة على صحائف الكتاب فكل منه و إليه احداهما صنعته و الأخرى صفته فكما لا يضيق العقل السلم المتربي ذرعا بإدراك كلا الآيتين فكذلك لا يستثقل عليه إدراك و قبول ما يجريه الله على يد بعض أنبيائه من المعجزات الخارقة للنواميس الإلهية التي هي أيضا من صنعه.فاستبعاد ضمني لقدرة الله عليه و لكن من حيث فاتت هذه النقطة على أرباب التجديد راحوا ينكرون كل ما هو مخالف للعقل مما يخرق القوانين التي و ضعها الله ولكن لم يبين لا في كتابه ولا على لسان رسوله إنه لا يخرق تلك القوانين التي هي من صنعه في الكون فمن الانحراف الفكري الذي ابتلى به المتجددون إنهم ينكرون المدلولات الظاهرة لتلك الآيات التي تدل بظاهرها على أمر خارق للنواميس الألوفة بحجة إنها مخالفو للعقل –والقرآن براء عن كل ما يخالف العقل-ومن هنا يتبين مدى تأثر المتجددين إلى حد كبير بالوضيعة حيث إنهم يحاولون التأويل لكل ما يرى مخالفا للقوانين المألوفة في الكون من المعجزات التي تتضمنها قصص الأنبياء المسرودة في القرآن كي لا يرى القرآن مخالفا لنواميس العلم و معطياته ناسين من ناحية إنهم يقعون بنزعتهم هذه في و رطبة أعظم بما إنهم يتبنون بتلك النزعة معتقد الإله الغير الفعال السائد في بعض من الأقوام السالفة و غافلين من ناحية أخرى عن حقيقة مسلمة و هي أن من قدر على الوضع كان قادرا على الرفع أيضا فالله الذي هو قيوم السماوات و الأرض و ما بينهما كما أنه هو القادر الخالق للكون و الواضع لتلك القوانين التي يجري حياة الكون بحسبها و على وفق نظامها كذلك هو الرافع و المغير لها أيضا بحسب حكمته فإذا أراد أمرا إنما يقول له كن فيكون.

إن العقل الوضعي الذي يهوى تفسير كل ما جرى و ما يجري في الكون بحسب مألوفة عاجز إلى درجة كبيرة عن التسليم لعظمة الخالق و لئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولو مدبرين و ما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم ان تسمع إلا من يؤمن بأياتنا فهم مسلمون[50] كما إن ذلك العقل الوضعي أعمى عن أن يرى إن الكون كله في يده والقوانين كلها بيده فهو الواضع و الرافع لها إذا أراد و لئن سألتهم من خلق السماوات و الأرض و سخر الشمس و القمر ليقولن الله فأنى يؤفكون و لئن سألتهم من خلق السماوات و الأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون و الأدلة على أن الله إذا أراد وضع و إذا أراد[51] ولئن سألتهم من خلق السماوات و الأرض و سخر الشمس و القمر ليقولن الله فأنى يؤفكون[52] و لئن سألتهم من خلق السماوات و الأرض ليقولن الله قل الحمدلله بل أكثرهم لا يعلمون[53] و الأدلة على أن الله إذا أراد رفع من غير ضرورة الالتزام بمقتضي القوانين التي سنها هو بقدرته هو قصة إبراهيم و أحياء الطيور إذا لم نكلف أنفسنا بتلك التأويلات التعسفية التي هي [54]سمة القوم.

إن من أهم سمات العقل المسلم هو التسليم لا بمعنى القعود عن التفكير و التأمل بمعنى أن لا يستعصى على قدرة الله شيئا و إن يرى أن له في كل أموره و شؤونه حكما و يسلم على ذلك لقدرة الله و حكمته فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت و يسلموا تسليما.[55]

نرى أن جل هذه الفرقة المتجددة لا كلهم ينسون هذه الحقيقة فيسعون وراء تلك التأويلات الركيكة و يلهثون خلف تلك التفسيرات السخيفة التي لا توافق لا اللغة ولا السياق القرآني ولا المنطق الإسلامي إلى حد ما فتأويل الجنة في قصة آدم بالنعيم و الراحة و تأويل الشجرة فيها بالشر[56] مثلا هل ترى له من مبرر لغوي أو سياقي فيا ترى هل من فرق بين هذا التفسير و التفسير الباطني الذي تصدى للرد عليه و تفنيده العمل الاجماعي من الأمة عبر التاريخ و كان مثلا على التأويل الباطل السخيف البالي الذي لا مبرر له عقلا و لا نقلا.

وهذا اللون من العمل التفسيري التجددي يرينا سمة أخرى هامة من سمات هذا التفسير و هو الاعتماد على العقل و التحاكم إليه بدرجة قصوى تلك السمة التي طالما وقف عليها الذين يشتغلون ببيان سمات هذا التفسير و من هنا سمي هذا التفسير العقلي أيضا الذي ألف فيه العديد من المؤلفات من المسلمين و المستشرقين.

وهذا الاعتماد الزائد المفرط على العقل الذي يأتي معه بتلك التأويلات السخيفة إن في المعجزات الواقعية في قصص الأنبياء أو غيرها هو الذي يعكر صفو هذا التفسير الذي يحد المسلم المعاصر فيه كثيرا من مبتغياته و

---

[50] الروم 30\51-53.
[51] راجع في ذلك تفسير المنار ج3ص23-28.
[52] العنكبوت 29\61.
[53] لقمان 31\25.
[54] انظر المنار ج 3 ص 54-58.
[55] النساء 4\65.
[56] امنار ج1 ص282.

مراميه و حلولا لكثير من مشكلاته السياسية و المعرفية و الاجتماعية ويجعل أولئك المسلمين الناشئين في الأوساط المحافظة ينفر و يشمئز من عملهم التفسيري هذا لأن أهم ما يسترعى النظر في عملهم هو أنهم يراجعون إلى العقل و يعتمون عليه كثيرا في تأويل أدنى ما يعرض لهم مما يخالف عقلهم ذلك العقل المشبع بثقافة الغرب المتغذية من ثدي العلمنة و الوضعية(pozitivizim) و الدنيوية(secularizim) و ينحون منحي غريبا قلما تجد له من مستند لغوي أو نقلي[57] كما لا يبالون في ذلك السبيل بثروتنا العلمية التاريخية الضخمة الغنية بآراء علمية جزلة بعضها أعيق شيق جدا جدير بأن يوقف عندها وقفة المستفيد الناهل منها.

أن من أهم ما يؤاخذ هذا التيار به أن أساطينه خلفا و سلفا متأثرون بشكل زائد بالأفكار الوافدة من الغرب ففي جل أعمالهم ينهجون المناهج الغربية صلحت أو فسدت و يقومون قيمهم على القسطاس الغربي و يزنون بالمعايير الغربية إيجابية أو سلبية و هذا الميزان الغربي سائد على غالب أعمالهم التفكيرية و السياسية و غيرهما و لكن لا يهمنا و نحن في هذه الورقة المستعجلة سوى أن نلقى نظرة خاطفة على مدى تأثيرهم بتلك القيم المستوردة في عملهم التفسيري فحسب.

إن أرباب هذا التيار يرون أن أحسن الصنائع إلى الإسلام هو أن نقوم من قيمنا و أحكامنا و أعرافنا و تقاليدنا و خاصة تلك البعض التي لها مسيس بحياة الفرد أو الجماعة على ضوء القيم المستجدة النابعة من منابع الغرب الهيمنة على الدنيا بعلمها و معرفتها و قيمها الحضارية.من هنا نرى أن أبا الكلام آزاد يرد عالمية الشريعة[58] كما أن أحمد خان يرن الفقه الإسلامي عامة[59] و كما يزعم عبيد الله السندي أن لا فرق ولا تناقض بين تعاليم سائر الأديان و الفلاسفة[60] و يزعمون أن هناك بعضا من أحكام الإسلام لا بد أن نقومها من جديد –بمعنى أن نقيم غيرها في محلها –و تأتي على رأس هذا البعض الذي يتحتم تأسيسه من جديد شهادة المرئة؟[61] و شهادة غير المسلم و أحكام الطلاق و النكاح[62] وتعدد الزوجات[63] و قطع السرقة حتى أن هناك من يحاول أن ينظر بنظرة جديدة للربا[64]أيضا ما دام أساطين الاقتصاد الغربي يزعمون أن لا إمكان لدوام النظام الاقتصادي بلا نظام الربا من غير ملاحظة أن هذا الحكم يوافق شرعة الله أم لا-فينحون في الاتجاه الجديد لتلك الأحكام منحى عقلانيا يوافق نزعتهم في تأويل جميع تلك الآيات التي تتعلق بهذه الأحكام.ثم تدرج الزمن بالمتجددين إلى أن رأينا من مزيد التأثر بالقيم الغربية أن ذهب البعض من من المفسرين المعاصرين من الأتراك أن اليهود و النصارى أيضا سيدخلون الجنة ما وحدوا الله و إن لم يؤمنوا بنبينا محمد صلى الله عليه و سلم مستدلا في ذلك بقوله تعالى:"**إن الذين آمنوا و الذين هادوا و النصارى و الصابئين من آمن بالله و اليوم الآخر و عمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم و لا هم يحزنون**"[65]متأثرا في ذلك إلى درجة كبيرة بتيار الإنسانية(Humanizm) الوافدة من الغرب[66] بلا مبالاة لمخالفة ذلك للمنطق القرآني السائد في جميع القرآن و للنصوص القرآنية الصريحة في ضد ما زعمه ذاك المفسر.

إن المضحيح المذي أحدثه المتاريخية الموافدة من المغرب –بما أدعى أنها متأثرة إلى حد كبير بالعقلانية(racionalite) و الإنسانية (humanizm)–في الأوساط العلمية المشغلة بالقرآن غير خاف على من يتبع السير الفكري بين المسلمين فبعض غير قليل من مثقفي المسلمين-وعلى رأسهم فضل الرحمن و محمد أركون و نصر حامد-يزعمون أن القرآن كان تاريخانيا يعني إن القرآن و إن خاطب الماضي و الحاضر و المستقبل جميعا لكن تدخله في الأحداث –و تحديد مصيرهاالفقهية-إنما كان متوجها إلى قطاع محدود و فترة معينة من التاريخ ثم لم يلبث أن مضى تلك الفترة بما فيه من الأحداث و أحكامها المنبثقة من آيات القرآن و التي كانت مخصوصة بتلك الفترة لا غير إما يومنا هذا[67] و في مجتمعنا هذا المتغير عما قبل بكثير المتطور في كثير من نواحي الحيات و مداركها و مفاهيمها و قيمها و علاقاتها و نظمها و سيرها و الاجتماعي عامة فلا يمكن إن نجعل تلك الأحكام المستنبطة قبل مستندا لا حكام مستجدة في يومنا هذا فمثلا بينما يتحدث فضل الرحمن عن السنة يقول إنه –أي المضمون-إنما يكتسب فحواه و مدلوله في الصدد الذي يحدده التاريخ و هذا المضمون بما أنه فصم من صدده

---

[57] و نرى ذلك المنحى الغريب في الجهد الذي بذله محمد رشيد رضا كي يخرج حمل مريم بعيسى من الغريب المعجز إلى القريب المعروف انظر المنار ج 3 ص308-301.

[58] صديقي,المرجع السابق,ص101.

[59] السابق,ص95.

[60] السابق,ص75-74.

[61] انظر فضل الرحمن ,السابق,ص84, *Ana Konularıyla Kur'an*, trc. Alparslan Açıkgenç, Fecir Yay., Ankara 1993, s. 118-119.

[62] السابق,ص96.

[63] فضل الرحمن..*Ana Konularıyla Kur'an*, s.115-117.

[64] انظر المصدر السابق,ص105-106.

[65] البقرة 2\62.

[66] انظر Süleyman Ateş, *Çağdaş Tefsir ve Yüce Kur'an Mealı*, İstanbul 1988, I, 174-175.

[67] كتب الدكتور المشارك محمد باجاجي من أساتذة كلية الالهيات في أنقرة مقالا عن التاريخانية فصل فيه القول عنها نشر في مجلة الدراسات الإسلامية أنقرة 1996 ج9 عدد1,2,3,4 ص 119-134.

التاريخي و جعل خالدا صار عقبة دون التطور في جميع مجالات الحيات و على رأسها المجال السياسي و الأخلاقي و الحياة الروحية والتربوية و الفكرية[68] كما نراه يقول في محل آخر من كلامه أن الله يتكلم و النبي يعمل –وفق سياق تاريخي محدد.[69]

الحاصل إن الحركة التجددية أثارت في الأوساط الإسلامية الفكرية تموجات لا يستهان بها سلبا و إيجابيا و سلب إن في اتجاهاتها التفكيرية و إن في توجيهاتها التفسيرية و التأويلية و إن في تفكيراتها القيمية و حتى قل في أساليبها الكلامية فبينما ترى طه حسين –وهو من أول مواليد هذه الفكرة –يصف القصص القرآني بجرئة و قيحة ب"الأسطورية" و يصف توظيف القرآن للقصة ب"الاستغلال"ترى نصر حامد –وهو من أواخر الحلقة التجددية- ينافح عن سلفه طه زاعما إن لغة طه حسين –هذه الساخرة من كتاب الله المجيد-بلغت أقصى درجات العلمية[70] و هكذا ففي أول الحلقة ترى من جانب من هم معتدلون و غالبا ما لا يجاوزون حدود الاعتدال و الوسيطة في أعمالهم العلمية و تفكيراتهم القيمة و التأويلية و نزعاتهم الإعتقادية كمحمد رشيد رضا و مصطفى المراغى و غيرهما و ترى من جانب آخر من هم في ذروة الشراسة و الخصومة وحتى الوقاحة مع السلف الأمة و ميراثها التاريخي كسور أحمد,والد كتور خليفة و أمثالها من الذين لا يألون في تأويل ما ينافى عقلهم إلا ولا ذمة و هكذا ترى في هذه الحركة تيارين كمتاكسين يسيران جنبا لجنب من أول يوم ولادته إلى يومنا هذا ففي يومنا مثلا ترى في جانب من هم في الذروة حيث يتشكل الهيكل الفكري لديهم من القيم الغربية غالبا و بعض من الإثارة الفكرية الإسلامية قليلا إلى أن إنقلب البعض منهم من مسلم يستقي تفكيراته و قيمه واتجاهاته من الإسلام و مصادره الأصلية إلى عصراني علماني يستقي جل تفكيراته من العصرانية النابعة من القيم الغربية الوضعية الدنيوية و هذا –على ظني-من أهم مكدرات صفوة هذه الحركة التي يحتاج إليه السير التفكيري في الإسلام لولا تلك المزعجات.

**مواقف هذا التفسير الناجحة**

إن هذا التفسير التجددي ظهر إلى الوجود بعدة أسباب موجزها:

1-التقدم و التطور الهائل في شتى مجالات العلم و المعرفة المنعكسة آثارها الايجابية والسلبية إلى التفكير الإنساني والمعتقدات الدينية بصورة بالغة.

2-تجاه ذلك ما يرى للعالم الإسلامي من تأخر مضيع وفقر مدقع و هوان مفزع و تشتت اجتماعي و سياسي و اقتصادي.وقد أفصحنا عن كلا السببين فيما سبق.

3-الإستراتيجية الاستعمارية التي تابعها دول الغرب ضد العالم الثالث عامة و الدول الإسلامية خاصة.

4-سعة آفاق التفكير الإنساني بحيث لا تقاس مع القديم.

5-تضخم المشاكل و الأزمات و القضايا الإنسانية في جميع أنحاء العالم عامة و في العالم الثالث الذي يشكل العالم الإسلامي قسمة الكبير بصورة زائدة و من بين تلك القضايا قضايا الاقتصاد الدولي و السياسة الدولية و الحقوق الإنسانية و الحريات و كثير غيرها التي تتطلب حلولا تتوائم مع متطلبات الفطرة الإنسانية.

6-تطور الإستشراق بدرجة أن وصل إلى خطر متفاهم على المسلمين في قلب الحقائق الإسلامية الاعتقادية و التاريخية حقيقتها الأصلية و تقديمها إلى الغر ؟ الجهلة من المسلمين على أنها حقائق علمية مسلمة يجب قبولها و الاعتراف بها كي يكون المرء علميا و عصرانيا.

فمن هذه الأسباب حدث لدى ثلة من علماء الإسلام وعى إسلامي و نظرة معرفية أخرى غير التي سلفت من قبل و نموذج معرفي و فهم جديد لنصوص الكتاب و السنة فهم يلبي بحاجات الجامعة الإسلامية و حتى قل الجامعة الإنسانية في العصر الحاضر في جميع المجالات علما منهم إن فهم القرآن فهما مناسبا مع جو العصر يأتي بكثير من الحلول لكثير من المشاكل التي يشد الخناق على العالم الإسلامي جميعا فشد وجد هذه الثلة من العلماء الأذكياء لإنقاذ المسلمين قاطبة مما هم فيه من الهوان و الضياع فبدؤا بادئ ذي بدء بالقرآن الكريم و تفسيره تفسيرا متناسبا لكل ما سبق و شنوا غارة شعراء على الأساطير ؟ ضمن التفاسير التي شغلت حيزا كبيرا من تراثنا و خلفت آثارا سيئة في عقليتنا و نظرتنا المعرفية مدى التاريخ كما شنوا الغارة على البعض من تلك الأمور التي ترى كأنها العوامل الرئيسية في تأخر المسلمين من أهمها التقليد و الانجماد على آراء السابقين اللذين كانا كقيد حديد في أرجل المسلمين ؟ عن متاعه السير الحضاري الذي بدء به أسلافنا الكرام فعاد المسلمون من الأعياء والنصب الفكري الذي حاق بهم من التقليد الأعمى و الإنجماد الادهى لا يرون الركب الحضاري من بعيد بله اللحوق به فمن هذه

---

[68] Fazlurrahman, *Tarih Boyunca İslami Metodoloji Sorunu*, (çev. Salih Akdemir) Ankara Okulu Yayınları, Ankara 1995, s.149.

[69] السابق,ص23.

[70] نصر حامد أبو زيد أشكالية تأويل القرآن قديما و حديثا, Islami Arastirmalar Dergisi,C 9 say.1,2,3,4; s.16.

النواحي يجمل بنا أن نحمد طائفة المتجددين على موافقهم في كثير من أعمالهم الإيجابية هذه كما صنعوا يدا أخرى للمسلمين حيث اهتموا بشكل بالغ ببيان الهداية القرآنية و ما تضمنه القرآن من جوانب أخرى في ساحات المعرفة و السياسة و الاقتصاد مستفيدين في كل ذلك من العلوم الاجتماعية المتطورة في عصرنا كعلم الاقتصاد و السياسة و الاجتماع و علم النفس و علم الإنسان و غيرها من العلوم كما لم يتحاشوا عن استعمال بعض معطيات العلم الحديث حول تفسير بعض الآيات فنرى أن طائفة المتجددين أحدثت بأعمالها الإيجابية هذه لدي بعض غير قليل من المثقفين المسلمين المعاصرين اهتزازا فكريا و اتجاها محمودا نحو استقاء جديد أصيل من منابع الإسلام الأصلية.

إن طائفة المتجددين-مع ما لبعضهم من أمثال سور سيد أحمد خان و الدكتور عبد الحكيم و الدكتور خالي و عبيد الله الهنديين و حسن حنفي و نصر حامد أبو زيد من السلبيات التي لا تهين –أحدثوا في مجال تفسير القرآن الكريم-إلى جانب ما تقدم من محاربة التقليد و توسيع أفاق التفكير الإسلامي و تسليط الأشعة بصورة متميزة على الهداية القرآنية- أعمالا إيجابية هامة أخرى منها الاهتمام البالغ بتقديم تلك الرسالات الربانية إلى الدنيا المعاصرة بلغتها التي تفهمها هي و في زي أسلوبها الثقافي المألوفات لها غير مشتغل في ذلك الصدد بالخلافات اللفظية و الاستطرادات الكلامية و سرد القواعد و الاحتمالات النحوية و الطروق إلى تكثير الروايات المأثورة من غير حاجة ماسة ناتجة من طبيعة المقام و منها العمل الجاد لتأسيس صلة قوية بين واقع الحياة و مضامين الوحي المقدس[71] يعني لا يفسر القرآن منقطع الصلة من الحياة و لا يقرأ الحياة مفصومة من هدايات القرآن و هذا العمل له من الأهمية القصوى في توجيه المجتمع توجيها إسلاميا صحيحا من جانب و قرائة القرآن على ضوء الواقع و فهم الواقع على ضوء الضوء القرآن من جانب آخر-تلك القرائة و ذلك الفهم سيأتيان إن شاء الله للأمة الإسلامية بخيور كثيرة و تدفعان عنها أضرارا كبيرة-و من هنا تراهم يقفون الوقفة الطويلة المقارنة عند تلك المفاهيم التي يتعرض لها القرآن –على ما يليق ببيانه المعجز-من أمثال العدل و الإحسان ة الأخوة و الحقوق و غيرها من المفاهيم و بذلك يمكن للباحث أن يتحصل على الشهود الحضاري واقفا من هناك و هناك على أفاق حضارية قرآنية لعلها تتدارك ما منى به الأمة الإسلامية من نكبه الغياب الحضاري مذ أمد بعيد كما يشير إلى تلك الحقيقة الأستاذ محمد رضا رحمة الله تعالى حيث يقول:و إننا نعتقد عن المسلمين ما ضعفوا و زال ما كان لهم من الملك الواسع إلا بأعراضهم عن هداية القرآن و إنه لا يعود إليهم شيء مما فقدوا من العز و السيادة و الكرامة إلا بالرجوع إلى هدايته و الاعتصام بحبله[72] و منها البحث الحثيث في ذلك العمل التفسيري لشبهات و اعتراضات المعارضين المغرضين أن من المستشرقين و إن من أذنابهم في البلاد الإسلامية و التصدي للأجوبة المقنعة و الردود المفحمة و هذا العمل أيضا له من الأهمية القصوى لما نرى لتلك الشبهات من آثار سيئة في عقائد بعض غير قليل من المثقفين المسلمين و منها-كما أسلفنا غير مفصل-تطهير التفسير من ركام الإسرائيليات و الأساطير التي لصقت به عبر التاريخ من غير تمحيص ولا تنقيح فأفسد رؤى منظرها الجمالي.و منها ابتكار أفاق قرآنية جديدة كالوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم و التفسير الموضعي و منها نتيجة تلك الأمور التي لا صلة له بالتفسير عنه-ولكن هذا غير صادق في تفسير الطنطاوي.-

كما أرى في هذا المقام أن أنوه-ولو بكلمة-عن تلك الخدمة الفكرية الجليلة التي تقوم به المعهد العالي للفكر الإسلامي و عن هذا العمل الإستراتيجي الفكري الدقيق الذي تعاقبه المعهد و الذي آمل أن يكون فيه خير كبير للمسلمين و فاتحة لعمل معطاء نحو مشروع حضاري قرآني و صوب فتح آفاق تفكيريه معطائة مباركة للمسلمين في مجالات العلوم الاجتماعية و غيرها لإنقاذهم من هذا الخنوع الذي يعانون منه كثيرا.و أهم مميزات أعمال المعهد هو أنها تتجلى أكثر ما ترى بالغناء الفكري و تكشف جل جهدها من جانب على استحصال مناخ فكري حر سليم معطاء و من جانب آخر تحض على التفكير الحر المنتج هادفا لشهود حضاري قرآني مع إنه لا تخرج في خلال هذا العمل الجليل عن حيز الوسطية التي هي من أهم مميزات هذه الأمة غير واقعة لا في مهاوي الإفراط و لا في مستنقعات التفريط.

فخطة المعهد خطة معاصرة نابعة من واقع الأمة مستقاة من كيانها القيمية و ثرائها التاريخي مستمدة من معارف العصر مستمرة في سبيل الإجابة عن تحدياته لا يأبه في ذلك بلومة لائم و لا يقع في خطتها الإستراتيجية الفكرية الدقيقة ما يقع فيه الغير من عقد نفسية تجعلها مشوش العمل و الفكر و الحركة بل تعتز بماضيها غير ناس لهواتفه و تنتظر مستقبلا مشرقا مجيدا بما تجد في مصادر الإسلام الثرية من أفاق حضارية وإبعاد إنسانية عظيمة.

**المحافظون**

إن أعظم الصعوبات أمامي و أنا أتحدث عن المحافظين و سماتهم و قسماتهم الفكرية هو أن لا أجد مواد علمية و مصادر أكاديمية تبحث عن المحافظين و تحدد سماتهم الفكرية و نزعاتهم المنحية سوى قلائل منثورة متفرقة هنا

---

[71] نرى ذلك بوضوح حينما يفسر رشيد رضا آيات الربا انظر المنار,ج 3,ص 93-117.
[72] المنار,ج1,ص31.

**تجارة عن تراض منكم و لا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما**[73] آية متضمنة لا ساسين هامين من أهم أسس الحيات الاجتماعية إحدهما متعلقة بالنظام الاقتصادي و الأخرى بالنظام الامنى فحينما يتناول القاسمي(م.1944\1332)تفسير هذه الآية- مع أنها تعكس بصورة مجملة نظرة الإسلام العالمية –لا تراه يذكر من ذلك شيئا سوى نقل آراء السلف حول مضمون الآية لا غير[74] و كان الجدير به أن يقف عند مضمونها طويلا ملقيا الضوء على نظرة الإسلام الحضارية و ما يأتي به للبشرية في ساحتي إلا من الاقتصادي و إلا من الجماعي.

و هذا العلامة ابن عاشور(م.1973\1393)-و قد حالفه التوفيق في كثير من تفسيره-بينما يفسر في تفسيره القيم التحرير و التنوير قوله تعالى ألم تر إلى الذين يزعمون إليهم آمنوا بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت و قد أمروا أن يكفروا به و يريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا و إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله و إلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا من سورة النساء,4\61,60 تراه ينقل عن الصحابة و التابعين و جوها كثيرة حول سبب نزول الآية و يذكر تحليلات لغوية و كلامية طويلة للآيتين[75] و لا بعض الكلمة حول ضرورة تحاكم المسلمين إلى الله ورسوله-الإسلام-وكتابه و بطلان التحاكم إلى غير الإسلام بينما تخلى المسلمون في مشارق الأرض و مغاربها عن التحاكم إلا الإسلام و ما كان أحوج المفسر أن يقف عند الآية من تلك الناحية طويلا و يذكر أدلة ذلك من الكتاب و السنة و يبين شدة احتياج الإنسان المعاصر الذي يرزح تحت أعباء العصرية إلى التحاكم إلى الإسلام و ما كان يفقد الكلام في أهم موضع يحتاج إليه المسلم المعاصر كأشد ما يكون.

نرى الدكتور محمد صالح على مصطفى –كان من أساتذة إحدى جامعات السعودية سلفا-فسر سورتين جليلتين من سور القرآن الكريم سورتي الرعد و فصلت بترتيب أنيق شيق يتماشى-على أحسن صورة – مع الترتيب العصري و لكن يدور-بحسب المضمون- في كلا السورتين في فلك أقوال المفسرين القدامى,على سبيل المثال كان من واجبة إذا فسر الآيات 2-4 من سورة الرعد أن يلقي نظرة تفصيلية على قراءة المسلم –التي و هبها القرآن له- للكون تلك القرانة التي تدور في محور التوحيد فعندئذ رأيت ما تتبلور لدى القارئ من الشهود الحضاري الذي يدفع القرآن المسلم إليه إنما دفع ولكن الشيخ اكتفى بذكر أقوال السلف فحسب ولكن على ترتيب معاصر ولم يتناول التفسير من هذه الناحية و هي أهم ما نحتاج إليه اليوم.[76]و نكتفى هنا بهذه الأمثلة التي إحداهما من أوائل هذا العصر الذي آذن بالرحيل و إحداهما من أواسطه و أخراها من أواخره.

**2-الولوع بسرد الخلافات النحوية و اللغوية**

لا يمكن أحدا عرف الواقع العلمي و اللساني أن ينكر ما للنحو من تأثير بالغ في فهم المعاني واستنباط النكات و تصحيح الأخطاء و تكثير وجوه المعاني فإذا النحو و اللغة مما لا تستغني عنه أن في تفسير كلام الله المجيد و إن في غيره ولكن يلزم أن يكون كل شيء بمقدار و هو ما لا تستغني عنه لا العصري ولا المحافظ نفسك ذهلت عن أنك تقرأ التفسير إلى أنك تقرأ دائرة معارف نحوية و هكذا و نهمل جانبا ما استكثره المفسرون من أمثال ابن عاشور والقاسمي و غيرهما في تفاسيرهم من الاستطرادات النحوية التي كانوا في غنى عن أكثرها و محتجين إلى أهم و نذكر على سبيل المثال كتابا حافلا في التفسير خصص بالأعراب فقط-و علم الأعراب قد قيل منذ زمن أنه قد احترق-و هو تفسير محي الدين درويش من علماء سورية ألف تفسيرا في أعراب القرآن في عشر مجلدات حشد جميع طاقته الذهنية و العقلية لأعراب القرآن و بيان المسائل النحوية و البلاغية لاغير-كأن لم يؤلف في إعراب القرآن و بيانه شيء آخر- نكتفي بمثال واحد من هذا التفسير فبينما ترى المفسر يمر بقوله تعالى:**واعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و أولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جائتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم**[77] هذه الآيات التي تلقى الضوء على أهم دساتير حياتنا الاجتماعية و هي التمسك بكتاب الله و الحفاظ على وحدة الأمة و الابتعاد عن التفرق و الشكر للنعم و تكوين وحدة علمية سياسية ترشد الناس إلى الخير و تنهاهم عن المنكر-أو قل بلساننا السياسي اليوم تشكيل جبهة المعارضة –ترى المفسر المعرب أبان ما تمر بهذه الآيات التي هي مملوئة من الحيوية و الديناميكية للجامعة الإسلامية تراه لا يلقى أية نظرة لا على واقع الأمة و لا على الحل القرآني لها في هذه الآونة التي ترى القدس قد غصبت و الأمة قد تفرقت و جماعتها قد تشتت و وحدتها قد تصدعت بينما يسهب و يطنب في الوجوه الإعرابية[78] بينما ترى صاحب المنار

---

[73] النساء 4\29.

[74] انظر محمد جمال الدين القاسمي,محاسن التأويل,دار الفكر,الطبعة الثانية,بيروت 1978,ج 5 ص114-117.

[75] انظر محمد الطاهر بن عاشور,التحرير و التنوير,الدار التونسية,تونس1984,ج 5 ص 102-106.

[76] انظر محمد صالح على مصطفى,تفسير سورة الرعد,دار النفائس,الطبعة الأولى السعودية 1988,ص47-72.

[77] آل عمران,3\103-105.

[78] انظر محي الدين درويش,إعراب القرآن الكريم و بيانه,دار ابن كثير,الطبعة الثالثة,بيروت1992,ج 2, ص9-14.

يناول تلك القضايا الأنفة الذكر بشيء من التفصيل من اتجاهات علمية متنوعة كالساسة و التاريخ و تاريخ الأديان و علم النفس و الأخلاق و الاجتماع و يلقي الضوء على واقع المسلمين من نواح شتى[79] فجزاه الله عن المسلمين خيرا.

يا ترى هل ينفعنا اليوم مما نحن فيه من الذل و الضياع و الهوان و التخلف و التفرق لو ربينا منة أو ألفا من مثل سيبويه أو من مثل خليل بن أحمد أو الاخفش و أمثالهم إذا لم يكن لديهم فقه العصر و لم يتجهزوا بمعارف العصر و تحدياته و أجوبة القرآن عنها نعم أن هذا هو خسران المسلمين المبين حيث يعيشون بقوالبهم و أجسادهم جميعا في هذا العصر و هم غائبون عنها بعقلياتهم و معارفهم و قلوبهم و عقولهم و أرواحهم و بذلك تأخروا هم و بقوا يحملون على أكتافهم باهظ أحمال القرون الوسطى بينما تقدم الغير إلى عصر الذرة ثم العصر الإلكتروني ثم عصر الإنترنت.

**3-الاكتفاء بسرد الميراث القديم**

إن ما نذكره هنا و الذي أسلفناه مواضيع متداخلة بعضها في بعض و لكن ما نذكره هنا يشغل حيزا كبيرا من تفاسير المحافظين-فوق الذي قبل-ذكرناه بصورة مستقلة خاصة.

كل ما ذكرنا فوق إلى جانب ما تطفح به تفاسير المحافظين من تكثير الآراء التاريخية و الكلامية و الفقهية و غيرها مما لا يأتي الكثير منها اليوم بنفع عاجل للمسلمين سوى الحفاظ على تراثنا القديم و كان يغنيهم عن جل ذلك ما تكتظ به كتب الاقدمين من تلك الآراء و الخلافات والوجوه كتفسير الرازي والقرطبي والطبري و الآلوسي و غيرها نكتفي من ذلك بمثال واحد:

إن ما كتبه العلامة محمد الأمين الشنقيطي الموريتاني (م.1394-1974)في أحكام القرآن من أضواء البيان تفسير القرآن بالقرآن مع كونه كتابا قيما في بابه لكنه يرى بدرجة كبيرة منعزلا عن العصر و معارفه و قيمه فهو رحمة الله كثر الوجوه الفقهية و الاستنباطات الشرعية من غير أن يعرضها على معارف العصر في ذلك الباب و من غير أن يمس مشاكل الإنسان المعصر الفقهية التي تشد الخناق منه فهذا هو ما يجعل الكتاب معزولا من العصر و يجعل دائرة الاستفادة منها محدودة ضيقة فمثلا حينما فسر قول الله تعالى و الذين يكنزون الذهب و الفضة ولا ينفقونها في سبيل الله...إلى أخر الآية من سورة التوبة(9\34)تراه يجمع الكثير مما قيل في الزكاة من الأحاديث المروية,إلى تحقيق صحة تلك الأحاديث,إلى الخلاف الواقع في الأموال الزكوية,إلى مقدار النصاب,إلى غير ذلك فيفحص و يبحث و يجول و يصول مما ؟ عن علم غزير عند المؤلف[80] ولكن مع أن الآية تتضمن أهم نظم الحياة الاجتماعية الاقتصادية لا يتجه المفسر-ولو بكلمة واحدة-نحو النظام الاقتصادي في الإسلام و مشاكل البشر الاقتصادية في عصرنا الذي هو عصر الاقتصاد و الحلول القرآنية لها ولو اتجه إليها لوجد المادة في ذلك كثيرة وهو-مع ما سرده-ما يهمنا اليوم جدا.

**اقتراح**

إن معارف القرن العشرين التي تحصلت من تجارب إنسانية ضخمة قد أتت في العلم و المعرفة و التفكير بأبعاد عميقة لم تعرف الإنسانية جلها و كان النصيب الأكبر في نشأتها للإسلام و لكن لأسباب ليس هنا محل عرضها تقدم الغير و بقي المسلمون مرتكبين في أحوال التخلف فكما تقدم اوائلنا بتلك العقلية التي مصوها من روح القرآن فاليوم أيضا لا بد أن نتوجه إلى القرآن من جديد و أن نبنى معارفنا الاجتماعية في محوره و أن نقرأ الكون طبق معاييره و أن نفهم الأحداث وفق موازينه و أن نجعل قيما مستقاة من ينابيعه وأن نبني عقليتنا على حد مقوماته و بذلك يتسنى لنا أن نخرج إلى العالم المعاصر بمشروع حضاري قرآني طالما احتاج إليه هذه الإنسانية النعساء ولكن لتحقيق ذلك كله لابد أن نخط خطة جديدة تتير الطريق لنا للوصول إلى الهدف و في ذلك السبيل كما لا نجعل التقليد شعارنا و نجعل الجمود على رأي الغير عدونا التفكير الحر السليم سمتنا فكذا لا نشتم ولا نذم أيضا ما مضينا ولا نستهين بتراثنا فنستفيد منه ما أصطلح مع ضروريات العصر و ندع ما سوى ذلك جانبا فكان لزوما علينا:

1-أن نعتني بشكل زائد ز نحرض أبناء الأمة على قرائة القرآن قرائة عصرية واعية جديدة بما يتحتم علينا تلبية و تسيرا لهذه الرغبة أن نحصى تحت أقسام رئيسية مشاكل إنسان العصر من الحقوق و الحريات إلى البيئة و الأمن الجماعي كما نضبط تجاه تلك المشاكل الحلول القرآنية لها بما أن من واجبنا أن نحارب بشدة تلك الفكرة-السائدة في كثير من البلاد الإسلامية-التي ترى إننا لا نفهم القرآن و غنما يفهمه شرذمة قليلة من أهل التخصص فهذا الرأي أورث لونا من التخوف و واحد حاجزا نفسيا يحول دون النظر في القرآن و محاولة ارتياد آفاق حضارية تؤكد معنى الخلود للقرآن الكريم من خلال استمرار القرائة القرآنية لقضايا العصر...كما أدى هذا إلى لون من التجمد[81] و

---

[79] انظر المنار,ج4,ص26-53.

[80] انظر محمد الأمين الشنقيطي ,أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن,عالم الكتب بيروت بلا تاريخ,ج2 من ص431-إلى 470.

[81] محمد الغزالي,كيف نتعامل مع القرآن,الطبعة الأولى,الولايات المتحدة الأمريكية –هيرندن – فيرجينيا1991,ص248.

عدم اتاحة الفرصة للعقل في تدبر و النظر-كما لا ننكر وجود جهود جريئة في هذا المجال في الاونة الخيرة- فإذا من أراد أن يفهم القرآن فليوسع عليه المجال و الحصيلة العلمية و الحقائق المعرفية في ميادين الحياة الاجتماعية و غيرها[82] مما لا بد منه القرآن لأن القرآن نص عربي يحتوي على أبدع الأساليب العربية فما لم يوجد لدى المرء شيء من تذق العربية المكتسبة مما ذكرنا لا يحالفه الفهم الصحيح للقرآن.

2-تقعيد أصول جديدة و تأسيس قواعد كلية تكون نيراسا لنا نحو فهم القرآن في ضوء العلوم الاجتماعية التي لا بد لنا أن نفهم القرآن على ضوءها و نحن نخاطب إنسان القرن الواحد العشرين و أهم تلك العلوم التي لا بد لنا منها علم الاجتماع عامة و علم الاجتماع و الدين خاصة و علم النفس و علم النفس والدين وعلم الإنسان(Anthropolocia) و علم فلسفة التاريخ و علم السياسة و فلسفتها و علم الاقتصاد و فلسفتها و علم الأخلاق و فلسفتها فإننا إذا ما اتقنا العلم في هذه الميادين و كان لدينا حصيلة من التذوق العربي و مكتسبات العلوم الإسلامية ثم حاولنا فهم القرآن على ضوء تلك الحصيلات و المكتسبات تسنى لنا في ضوء ذلك قرائة القرآن قرائة جديدة تتوائم مع معارف القرن الذي نعيش فيه و من ثم أطلعنا باذن الله على آفاق حضارية قرآنية بها يتخلص إنسان القرن الواحد و العشرين من كثير من الأزمات و المشاكل المادية والنفسية و غيرها.

3-تحقيقا لهدف الهدف السمي يجب أن يتشكل هيئة من المتخصصين في تلك الميادين التي ذكرنا الذين لهم تذوق في العربية أيضا ثم يخرج كل منهم خارطة عامة للايات المتضمنة لمادته ثم يبحث بحثا دقيقا عن السمات الأصلية للسرد القرآني للمادة و المناسبات التي بسببها تلك المادة و عن كيفيات و ملابسات سرد المادة مبعثرة هنا و هناك و عن اللون العام العلمي الذي يحصل من السرد القرآني لتلك المادة فإذا يمكن لنا أن نخرج من تلك الأمور قواعد و أصولا نتوصل بين العلوم الإسلامية والعلوم الاجتماعية كما يكون ما تقعد من القواعد و الأصول علم أصول التفسير الجديد الذي ما أحوجنا إليه اليوم!

4-إن يتشكل هيئة خبيرة بمشاكل الإنسان المعاصر و الأسر المعاصرة والمجتمعات المعاصرة من الناحية النفسية إلى نواحي العمل و الاقتصاد و الحقوق و الحريات إلى البيئة و غيرها مما تمس مصير الإنسانية و التي تشغل مادة كلامه أكثر ثم تضبط تلك الهيئة جميع تلك المشاكل تحت أقسام باعتبار نشأتها و تطورها و من له صلة بها ثم يحاول في ضوء ذلك و يسعى إلى تقديم الحلول القرآنية لها كل منها في ظرفها القرآني(وذلك بتفسير موضوعي جاد متسلسل-كسلسلة الحريات و سلسلة الحقوق و سلسلة الإنسان المعاصر من المشاكل قد تفاقمت بحيث لا تفيده في الخلاص منها لا الحداثة ولا ما بعد الحداثة فإذا ما استطعنا أن نقدم إلى هذا الإنسان الموتور حلولا قرآنية ناجعة نكون قد و فرنا له الطمأنينة و السكينة و الراحة إلى درجة كبيرة فعسى أن يكون ذلك سببا لخلاصه من شقاء الأولى و الأخرى.

## نتيجة

التجدد أو قل العصرانية أحدث في الأوساط الإسلامية التفكيرية آثارا غير الذي قبل و كان لها إيجابياتها و سلبياتها وأهم إيجابياتها هي أنه نبه المسلمين إلى ما حاق بهم من مآسي الغياب الحضاري و التخلف و الاستعمار و التشتت السياسي و تفريق الكلمة كما أنه فتح آفاقا واسعة في التفكير الإسلامي عامة واقفا قرآنيا جديدة خاصة تسنى لنا بذلك الجواب على بعض تحديات العصر و الاستطلاع على الشهود الحضاري تحت نظرة معرفية قرآنية جديدة ولكن عكر صفو هذا العمل الجاد ما استبطنه وابتدعه بين حين و آخر من تلك الباطنة الجديدة في ثوبها القشيب أن في القصص القرآنية و أن في غيرها من الأمور المعجزة التي أخبر بها القرآن و عجز عقل أصباح هذه الحركة عن حملها كما جعل دائرة الاستفادة من هذا العمل الجاد ضيقة إلى حد ما تتسم به أصباح هذه الفكرة من توسيع المجال للعقل فوق ما أذن له الإسلام فبذلك و قع العقل في مهاوي هلك فيها كثير من أصحاب الفكرة و كما أن من أهم معكرات هذا العمل هو ما يتخذه أصحاب هذه النزعة بين حين و آخر من ذلك الأسلوب السيئ الجريء الساخر تجاه الله و رسوله و كتابه و دينه بحجة الحرية في الرأي و الإفادة خالعين بذلك و غيره من أعمالهم ؟ أبالية قلادة العبودية من رقبتهم ولم يقف حرية العقل بهم عند ذلك الحد فأتتجوا مناهج بعض متفكري الغرب-ليس لنا أشكال مع انتهاج الناهج السليمة التي لا تمس عقيدتنا و كياننا الإسلامي استوردت من الشرق و الغرب و خصيصا إذا كانت نافعة فإن استيرادها يكون من التحتم المفروض-وطبقوا بعضا من أصولهم الفلسفية كالتاريخانية(historicitiy) والكلامية كالهرمنوتيقا(hermeneuticitiy) المبتدعة والمطبقة وفق عهودهم الجديدة و القديمة -في كتاب الله زاعمين أنهم بذلك يخدمون كتاب الله و أنهم سيخلصون بتلك الاتجاهات الجديدة الأمة الإسلامية من هذا الأزق التاريخي الذي تمر به بما لحقها من تأخر و تشتت ولكن وقعوا في مخاطر أشد ليس هنا محل عرضها و صدق عليهم المثل التركي:حاول صنع الحاجب ؟ العين.

و في العدوة الأخرى نرى الثلة المحافظة أغمضت عينيها و أصمت أذنيها عن المهالك و النكبات التي تحدق بالمسلمين من كل جانب فلا ترى داء حتى تقدم له دواء فيكتفي بترداد معارف الأولين ولكن بأسلوب عصري

[82] انظر لضوابط التفسير بالرأي المصدر السابق,ص 251.

فحسب فلا ترى في عملهم التفسيري سوى تكثير الوجوه الأعرابية و سرد الوجوه الفقهية وذكر الخلافات الكلامية كأنما أنزل القرآن لتفسر من تلك الوجوه لا غير فأما تقديم مشروع حضاري قرآني و أعطاء أجوبة قرآنية لتحديات العصر و مشاكله فهم بمعزل عن ذلك كما أنهم يبتعدون جانبا من حض المسلمين على التفكير الحر السليم الصحيح تحت نبراس الكتاب و السنة و يرون أن من أهم شعائر المسلمين هو تقليد القدامى فيما جد منه أو رث.

نرى أن أنسب ما يليق إن ننتهجه في اتجاهاتنا نحو ميراثنا التاريخي و العمل التفسيري هو ما اقترحه وانتهجه محمد الغزالي الراحل رحمة الله رحمة واسعة فإنه لا يسبب الميراث ولا يتركه تركاكما جعل ذلك ديدنا له بعض من العصرانيين المتجددين-ولا يقلده تقليدا أعمى بحيث يقبله بغثة و سمينه كما جعل شعارا له و دثارا بعض من المحافظين بل يغربله غربلة فيأخذ ما تصالح مع معارف العصر و الجاآته كما يترك جانبا ما لم يكن بذاك المستوى غير ساب ولا ذام.

كما نرى أن من الواجب الذي علينا أن نتداركه آنا قبل آن هو رسم خطة جديدة نحو تفسير كتاب الله في ضوء العلوم الاجتماعية وذلك إنما يتسنى بعمل مشروعي جاد دقيق من هيئة خبيرة في تلك الميادين يكون ذلك العمل أصول التفسير الجديدة ينتهج الأجيال المقبلة على نهجة في تفسير كتاب الله ويكونون مستعدين للإجابة عن تحديات العصر و يداوون به أمراض العصر على ضوء رسالات الله.

## المراجع العربية


عبدالله محمود شحاته,منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم,مطبعة جامعة القاهرة1984.

محمد أبي حامد الغزالي,المنقذ من الضلال,مؤسسة الكتب الثقافية,الطبعة الثالثة,بيروت 1991.

محمد الأمين الشنقيطي,أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن,عالم الكتب بيروت.

محمد رشيد رضا,تفسير المنار,دار الفكر,الطبعة الثانية.

-الوحي المحمدي,المكتب الإسلامي.

محمد عبده,تفسير القرآن الكريم جزء عم,دار ابن زيدون,الطبعة الثالثة,بيروت 1989.

-رسالة التوحيد,إيران 1974.

محمد الغزالي,كيف نتعامل مع القرآن,الطبعة الأولى,الولايات المتحدة الأمريكية –هيرندن- فيرجينيا1991.

-تراثنا الفكري في ميزان الشرع و العقل,الطبعة الثانية,فرجينيا 1991 .

محمد جمال الدين القاسمي,محاسن التأويل,دار الفكر,الطبعة الثانية,بيروت 1978.

محمد صالح علي مصطفى,تفسير سورة الرعد,دار النفائس,الطبعة الأولى السعودية 1988-1992.

محمد الطاهر بن عاشور,التحرير و التنوير,الدار التونسية,تونس 1984.

محي الدين درويش,إعراب القرآن الكريم وبيانه,دار ابن كثير,الطبعة الثالثة,بيروت.

نصر حامد أبو زيد,مقال أشكالية تأويل القرآن قديما و حديثا:*İslami Araştırmalar Dergisi*, IX 1,2,3,4: say. Ankara1996.


## المراجع التركية


Fazlurrahman, *Ana Konularıyla Kur'an*, çev. Alparslan Açıkgenç, Fecir Yay., Ankara 1993.

*İslam ve Çağdaşlık*, çev. Alparslan Açıkgenç-M. Hayri Kırbaşoğlu, Ankara 1996.

*Tarih Boyunca İslami Metodoloji Sorunu*, çev. Salih Akdemir, Ankara 1995.

Mazhuriddin Siddıki, *İslam Dünyasında Modern Düşünce*, çev. Murat Fırat Göksel Korkmaz, Dergah Yay., İstanbul 1990.

Mehmed Paçacı, "Kur'an ve Ben Ne Kadar Tarihseliz", *İslami Araştırmalar*, Ankara 1986, c. 9, sayı 1,2,34.

Muhammed Münevver, *İkbal ve Kur'ani Hikmet*, çev. M. Ali Özkan, İnsan Yay., İstanbul 1995.

Süleyman Ateş, *Çağdaş Tefsir ve Yüce Kur'an Meali*, İstanbul 1988.